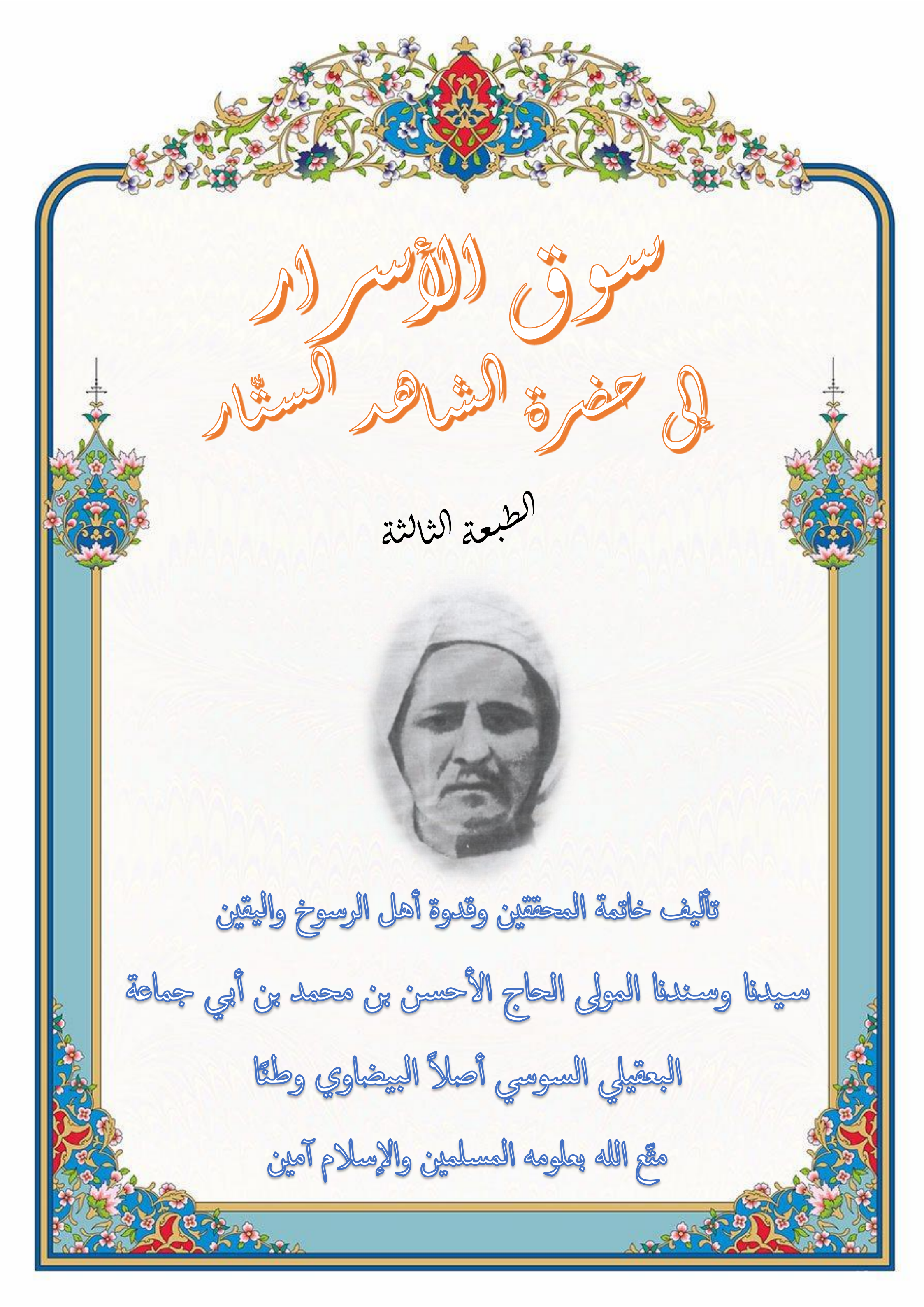


سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستّار

الطبعة الثالثة

تأليف خاتمة المحققين وقدوة أهل الرسوخ واليقين

سيدنا وسندنا المولى الحاج الأحسن بن محمد بن أبي جماعة

البعقيلي السوسي أصلاً البيضاوي وطنًا

متّع الله بعلومه المسلمين والإسلام آمين

سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستّار

كتاب

سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستّار

تأليف

خاتمة المحققين وقدوة أهل الرسوخ واليقين

سيدنا وسندنا المولى الحاج الأحسن بن محمد بن أبي جماعة

البعقيلي السوسي أصلا البيضاوي وطنا

متّع الله بعلومه المسلمين والإسلام

آمين

الطبعة الثالثة ـ تونس 1440هـ /2018 م

الكتاب:

سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستار

المؤلف

الحاج الأحسن البعقيلي

الطبعة الثالثة ـ تونس 1440 هـ

تونس

———

1440 هـ / 2018م

إهداء

بسم الله الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ.

الحمد لله قبل كلّ أحد

الحمد لله بعد كلّ أحد

الحمد لله على كل أحد

إلى روح سندنا وقدوتنا فريد عصره وأعجوبة دهره حَبْر الأمة سيدنا الحاج الأحسن بن محمد بن أبي جماعة البعقيلي.

إلى روح من كان سببا في نشر علومه وأسراره في ربوع تونس الخضراء تلميذه الأبر العارف الكامل، مربي الأجيال، شيخنا وقدوتنا سيدي الحاج محمد بن إبراهيم القماري البعقيلي.

إلى شيخنا، قرة أعيننا، المجاهد في سبيل الله تعالى بالحال والمقال، الرجل الذي لا يزال يربينا بسر السر، مَن اكتملت فيه صفات العلم الذي أمرنا رسول الله ﷺ ألا نجلس إلا إليه بقوله: **((لا تجلسوا معَ كلِّ عالمٍ إلَّا معَ عالمٍ يدعوكم من خمسٍ إلى خمسٍ منَ الشَّكِّ إلى اليقينِ ومنَ العداوةِ إلى النَّصيحةِ ومنَ الكبرِ إلى**

التَّواضعِ ومنَ الرِّياءِ إلى الإخلاصِ ومنَ الرَّغبةِ إلى الرَّهبة))[1] مولانا الحاج محمد الكبير أبو عقيل فالله هو الذي يجازيه بما هو أهله ونحن نطلب من الله أن يبارك لنا في علومه الربانية. آمين. والله من وراء القصد.

الحاج الحبيب بن حامد

مقدم الزاوية التجانية باب الخضراء تونس

لطف الله به في الدارين آمين

[1] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 75/8.

بسم الله الرحمان الرحيم

(وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليما)

الحمد لله الذي هدى إليه من استهداه ونصر على جيوش النفوس من اجتباه وأرشد كرائم الأرواح لثبات جلاله وأوقفها بين يديه لإفاضة جماله الفاعل المنفرد المختار الحاكم بفضله وعدله على فاعل الاضطرار والصلاة والسلام على إمام الواصلين وقبلة المريدين قائد الغر المحجلين فاتح النبوءة وخاتمها أصل المكونات وروحها هادي أهل السعادة وممدّها معلّم آداب العبودية بالتعلق بالربوبية من لا يدل إلا على مولاه بحاله ومقاله باب الحضرة وينبوع العلم الوهبي بلسانه صلاة وسلاماً مناسبين لمقام كماله وليست إلا من مولاه مفاضة من حضرة كماله. وبعد فإنني لما منّ الله عليّ بحضرة دين المنعم عليهم من الأصفياء تذكرت إخواننا العبيد الأتقياء فأحببت أن أوضح لنا ولهم زلال العبودية لتنقشع عنها العبودة المحضة ويزال نقاب محياها بعبارة غضة فيعقبها ذوق ما أشار له العارفون بأساطير التلويح والكناية فيربح كل تاجر بإحكام فهم ما سطرناه بالعناية فالله المبدئ المتم المعيد هو الذي أنطق كل شيءٍ المحرّك المسكّن. اللفظ قالب المعاني والقلب قالب الأسرار والمراد للمباني وسميته (**سوق الأسرار إلى حضرة**

الشـاهد السـتّار) وبعد فليعلم اللبيب أن كل ما خطر بباله فالله بخلافه وأن هذا الكتاب إنما يساق به مساق الأمثال وهو وما فهم منه وما تخيله الأفهام عند تقريره رمز حادث لا غير وأن المقصـود به إفراد الوجهة إلى حضـرة الألوهية وهو المعبر عندهم بالتوحيد فالتوحيد توجيه وإفراد الوجهة إلى سـيادة المالك بالخشـوع والخضـوع والتذلل لسـطوة سـبحات جلاله فإن كثيراً من العباد مغرور بحضرة الدنيا وحضرة الآخرة وحضـرة البرزخ وحضرة متعلقاتها. فألممت هنا بما يزيح شـوب العبودة بغيرها ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْـرَكَ بِهِ**﴾[2] فيجب إفراد المملوكية لقبلة سيادة المالكية فافهم فإن كل ما سـوى الله عبد مملوك له حقيقة والمالك واحد أحد والمملوك من حيث الفعل الإلهي واحد وباعتبار جهات الجزئيات متعدد والعبيد المكلّفون بحسـب ما ظهر ثلاثة **عبد الأجرة** وهو من يعبد لغرض دنيوي أو أخروي أي حمله الغرض الطمعي على العبادة من صـلاة وأذكار فهذا بعيد بعد نسـبة من الحضرة المالكية مستوجب بعبادته البوار والنكال لولا فضله تعالى عليه وعبادته مردودة عليه لأنه عابد لنفسـه لا لربه فهذه مرتبة المخلصين وأهل الإخلاص على خطر عظيم **وعبد عصـيّ** من

---

[2] (116) سورة النساء.

حمله خوف على العبادة وهو خوف لحاق ما توعّد به العاصين من أليم النار وهذا عابد لهواه وهو أجلف المتعبدين لأن المعلول يدور مع العلة وجوداً وعدماً لولا الجنة والنار لظهر من يعبد الله ممن لا يعبده والمغتر بالظواهر كثير فكثيراً من تجرد للخلوات والرياضة والمجاهدة الفادحة لهاذين الغرضين الفاسدين عند كل ذي ذوق سليم فيحتمل المكاره لها وربما يدله عليه من لم يصحح وجهته وتوحيده فيكون عوناً للشيطان عليه **والثالث عبد الله** وهو من حمله على أنواع العبادة امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه إن كان من الدرجة الأولى من المقربين أو حمله استحقاق المالك الحق لأنه السيد المنفرد بها إن كان في الدرجة الثانية وهو خاصة المقربين أو حمله الشوق والشكر والغلبة لما فجأه من الجمال والجلال وهي الغاية القصوى في الإتقان والإحسان من غير تعرّض لامتثال وإن كان ممتثلا ولا استحقاق لما دهمه من الجمود الصرف والفناء عن كل ما غشيه من السواحق والدواك لإحساسه فكان عبداً جامداً لنفسه متصرفاً لربه ميتاً لها حياً بربه مجرداً عن العقل عقل تمييز وعقل كلي فانفتحت له عيون بحور حضرة العقل الرباني فتصرّف به ربه بما انطوى فيه من أنوار عقله الرباني فخلف نور عقله نور المريدين والسالكين والعابدين واعلم أن العارف يكون كالقلم بين يدي كاتبه فهو جامد لا روح فيه ولا

عقل ولا تمييز ولا إرادة ولا سلوك بل عرضة الكاتب فحظه أن كان آلة للكتب فيا سعادة له إن استعمله الكاتب في القصائد المليحة وكتب به خطاً مستقيمًا حسناً بفضله وويل له إن استعمله الكاتب في القصائد المخالفة لآداب حضرة الملوك وإن كتب به ذلك فالكاتب له أن يبريه وينجره بما ظهر له وله أن يحرقه بالنار أو يهمله وإلا فالأقلام كثيرة جداً فإن استعمله فبفضله وإن أهمله فبعدله له لأنه ظالم بكتبه القصائد المناقضة للآداب والحروف الغير المستحسنة والمالك يفعل في ملكه ما يشاءُ غير ظالم فالظلم شغل ملك الغير والقلم سهم الكاتب فافهم فلله المثل الأعلى ففعل الكتابة من قوة الكاتب والمباشرة للقلم فبها يأخذه سياسة ثم اعلم أن العبد على الحقيقة الأصلية لله واحد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي أفرد الحق كليته إلى الحضرة القدسية إفضالاً منه جل وعلا لأنه خلق من صفوة النور الإلهي وهو الذي خلقه لنفسه وما سواه صلى الله عليه وسلم يعبد الله من وراءِ حجابيته صلى الله عليه وسلم حتى الأنبياء فإنهم خلفاؤه صلى الله عليه وسلم في ذلك فهو العابد لله دائماً القائم بحق الربوبية والعارفون يعرفون الله بما ظهر لهم من العابد صلى الله عليه وسلم وهم غرقى في أنواره صلى الله عليه وسلم متوجهين به لحضرة ربهم فهو قبلتهم وإمامهم من يوم فطر الله الخلق إلى ما

لا نهاية لأيام الآخرة فكلّ من ناب عنه صلى الله عليه وسلم بحلته التي ألبسها له صلى الله عليه وسلم ومن ناب عمن ناب عنه صلى الله عليه وسلم يعبد الله بحسب صفاء الحلة التي ألبسها فهكذا إلى آخر الدهر ثم أكبر الخلق عبودية بعد الأنبياء القطب الجامع الكامل الوارث أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ثم القطب دونه ثم من ضاهاهم إلى آخر الدهر وسيتبين لك ذلك كله في عرصات القيامة فمن ورث مقام نبي من الأنبياء يعبد الله بقدر ما ورثه ذلك النبي من حضرة قطب الوسائل صلى الله عليه وسلم فإن كان قطباً مثلا يغترف ويتصرف بحسب عبوديته المكتسبة من موروثه ومن ورث المقام المحمدي يكون كاملا لجمع علم الأولين والآخرين تتفجر منه الشرائع كلها ويعبد الله بجميع شرائع الأنبياء لأنه ورث بالفضل الإلهي ممدهم وروحهم وإنما ألممت بهذا وإن كان مستطرداً لتعرف وساطته صلى الله عليه وسلم قبل الوصول وبعده فإن حجبت عنك وساطته صلى الله عليه وسلم فقد حجبت عمن كان قبلك من كبار العارفين مع اعتقادهم واعترافهم بها بل لا يتجلى أحد إلا بحلة شيخه الموروث له وهو صلى الله عليه وسلم ﴿**قَابَ قَوْسَيْنِ**﴾[3] أي دائر بما خلقه الله المسمى بالأمر

---

[3] (9) سورة النجم.

الإلهي وهو الكون فاعلم أن الكون من حيث هو مثاله باعتبار عظمة المالك جل وعلا كبيضة صغيرة لا ظهور لها إلا كظهورها فقاب قوسين قشرة البيضة ولها قشور متعددة وكل ما يسمى بالمخلوق داخل في باطن البيضة من العوالم كلها الدنيوية والأخروية حتى العرش وما في جوفه فحجابيته صلى الله عليه وسلم دائرة به وما في داخلها محفوظ به صلى الله عليه وسلم وهو مظله بحيث لو أزيل شيءٌ من حجابيته صلى الله عليه وسلم لتدكدك ما في داخله من عرش وغيره فكل ما خطر في بال العارفين الموحدين فإنما هو من جنس العوالم المحشوة في مرآته صلى الله عليه وسلم ولا سبيل لأحد أيا كان ولو سيدنا إسرافيل الذي هو أكبر العارفين إلى تحقيق مرتبته صلى الله عليه وسلم فضلا عن الإحاطة وقد أعجز الحق جل وعلا جميع الخلائق عن إدراك جوهرة واحدة من جواهره صلى الله عليه وسلم ومعه إنما هو مخلوق له مثلنا ولقد قطع الحق جل وعلا أطماع الأفكار بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنع به كل إدراك وجعله سوراً قاهراً لكل عارف فقاب قوسيته صلى الله عليه وسلم معناها أن الحق جل وعلا خلق صفيه صلى الله عليه وسلم من صفوة نوره جل وعلا المكرم فأضاءت جوهرته صلى الله عليه وسلم فكل ما وصله نور جوهرته فهو بحر الخليقة المقهور ببحر الألوهية فركبه الحق

جل وعلا من نور جوهرته أدوار بحور الفيض والسقي الإلهي يظل بحر على بحر ويبرد حرارة السطوة الإلهية تدريجاً حتى حصل اللطف الكبير منه جل وعلا فكون الحق الفاعل المختار على حسب ما تعلقت به الإرادة الأزلية جميع العوالم المترتبة في القوة والضعف فحصل لله الحمد الأمان والهناء لضعيف الأكوان بالقوي منها فهكذا حتى وصلت إلى المرتبة المحمدية فهي ظل الجميع وأصل الجميع وبحر فيوض للجميع كله لطفاً من المالك جل وعلا بعباده ليبقي لهم وجودهم المناسب لهم بظل أقوى خلقه صلى الله عليه وسلم فاعرف قدر نبيك تعرف منه قدرك وإنما بينت ليلا تدعي الاستقلال فتدك بسطوة غيرة مرتبة الحق على حبيبه فتحاول محالا لم يرده الله جل وعلا فإذا عبدت ربك بما أفاضه عليك من حضرة نبيك صلى الله عليه وسلم وعرفت وأعطيت للحضرات حقها والأدب فاعلم أن الله عز وجل لما خلق خلقه ومن جملته الفلك الدولاب الدائر السائر أبداً علق رزق خلقه بالعمل المتقن لأنه جل جلاله لا نسبة بينه وبين مخلوقه وإنما خلق وقدر وأراد بفضله فكل من عمل عملا متقناً أياً كان صالحاً أو غيره وأتقنه بشروطه التي قررها الشارع صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله وتقريراته يدور له الفلك بسهم غلة ذلك السبب بعد علمك أن السبب لا تأثير له بل إنما هو أمر مطاع فمن عمل عملا

صالحاً من صلاة وصوم وذكر وأنواع القربات وأتقنه بشروطه المقررة من همة نافذة جاهدة في طلبه أو الموت دونه فإن تعرض بعمله لدنيا يصيبها يدر له الفلك بها وهو غير عابد بل مسيءٌ مستحق في نفس الأمر المقت من الله لأنه لم يفرد العبادة له جل وعلا وإنما عبد لنفسه فهو مشرك في العمل المشروع للعبادة المحضة بحظه الدنيوي لولا فضل الله عليه لأهلكه به لكن قدر أن كل من عمل عملا وتعرض به لأمر وأتقنه يحصل على غرضه الذي هو النتيجة فتنفعل له الدنيا بسر همته ولا حظ له في الأدب مع ربه بل هو مطرود من حضرة القرب ولا يشم رائحة معرفة سيده ما لم يتب ويخلص وجهته لحضرة سيده وربما يغتر بما حصل له من الفتوحات الدنيوية بسبب عمله فتنغلق عليه أبواب الرب جل وعلا فالغرور اعتقاد الأمر على خلاف ما هو عليه فقد اعتقد أنه حصل على خاصية الذكر مثلا فيصرف همته عمره كله لمثله ويجعل ذلك عبادة ربه فيعد نفسه من ﴿**الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾[4] ويتلذذ بذلك في جميع أوقاته وكلما ازداد خدمة ازداد بعده من حضرة سيده ربه لأنه إنما يغلظ الحجاب بهمته ونيته وربما يدل العابدين على مثل عمله فهو ضال مضل محجوب

---

[4] (35) سورة الأحزاب.

بإشراكه في عبادة ربه فتناديه حضـرة سيده ما عبدتنا لأجلنا وإنما عبدت لنفســك فابق مع نفســك منعماً بغلة عملك ولأنت عندي أبعد من كل بعيد لنجاســة مطلبك فنأمر أخانا في ذات الله أن يرجع إلى ربه تائباً من نجاســة حظوظه ويفرد وجهته لربه ويخلص عمله ونيته له يجده ﴿**أَقْرَب إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[5] فافهم وإن عبد لغرض الخوف من عقابه وأتقن العمل بشــــروطه بهمة نافذة جادة أو الموت دونه يدر له الفلك بسهمه أي غلة عمله وهو الحفظ من أليم عقابه وهو غير عابد وغير أديب بل مشــــرك في الحقيقة لأنه استعمل السبب الذي يقصد به إمحاض العبودية والتعلق بالربوبية في حظ نفســـه الذي هو الخوف من النار وهو في الحقيقة وإن كان محفوظاً من العقاب يســـتحق البوار بالإشــراك ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْـرَكَ بِهِ**﴾[6] وعدم الغفران بعده من حـضرة سيده حتى يفيءَ إلى أمر الله ويتبرأ من الشرك في العمل فتناديه الحضـــرة ما عبدتنا لأجلنا وإنما عبدت نفســـك فافهم ترشـــد وإن عبد لغرض الجنة وأتقن العمل إتقاناً محكماً بهمة نافذة جادة غير ســـائمة ويلاحظ بعبادته ما سمعه من لسان الشارع من أنواع النعم الحور

---

[5] (16) سورة ق.

[6] (48) سورة النساء.

وغيرها بحيث لا يريد بعمله إلا ثوابه الآجل الأخروي[7] يدر له الفلك بسهمه الذي هو غلة عمله وهو سكنى الجنة والتنعم بما فيها من نعم ربه وهو غير عابد ولا أديب بل هو مستوجب بعمله عقاب سيده لولا ما اكتنفه من فضل ربه الذي عليه التعويل فيتلذذ بما تعرض له بعمله ولا سهم له في حضرة ربه ومعرفة سيده بل يشتغل بنفسه في الدنيا والآخرة منهمكاً في شهواتها الحظية وإن كان يكرمه ربه بسماع لذيذ خطابه يوم الجمعة مع عامة الناس على حسب الإفضال لا غير فيبقى مع العامة ساعة ثم يرد إلى نفسه متنعماً بشهواتها المألوفة محتجبة عن معرفة جنة ذوق ما ذاقه أهل الحق الذين هم الأكابر من الموحدين عبادتهم لربهم في دار حياتهم الدنيوية وغيرهم بطال وإن كان في نعيم الجنة فجنة الموحدين المفردين لمحض العبودية الأنس بربهم ولا تخطر نعم الجنة ببال وإن كانوا غرقى فيها بحسب الإفضال فيجمعون لذة شهودهم لجمال سيدهم في كل نفس من أنفاس الدهر مع لذيذ نعم الجنة فلعنبة واحدة يأكلها العارف أحب وألذ وأشهى من نعيم عامة الجنة فالعارف أكرمه سيده بأعظم نعيم الجنة ويحصل له سيده في نعمة واحدة أعظم ما يحصل لجميع عامة الجنة بلا قصد من العارف بل

---

[7] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "الأخروية".

بالفضـــل الإلهي ويفاض عليه شـــهود مولاه الذي أفرد له العبودية ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[8] فالعارفون أفيض عليهم شـــهود مولاهم بعملهم وتفضـــل عليهم بلذيذ نعم الجنة بل بأعظم نعمها والعامي أفاض عليه الحق نعيم الجنة الناقصة اللذة عن مرتبة العارف بمراحل بســبب عمله لأنه مشـــهوده في داره الدنيا وأكرمه الله في نفس واحد يوم الجمعة بســماع كلام ســيده ببركة العارفين ورؤية وجه ســيده مع الفناء لا البقاء لأنه تعرض لرؤية ربه بعمله فدار له الفلك بسهمه وهو غير عابد فافهم الفرق بين العارفين في الجنة وبين عامتها تجد العامة إنما رحموا ببركة العارفين وهم عيالهم ويتبين لك أن نفس العارف في الجنة لا تقاومه أنفاس العامة كلها ســـواء كان في الأنس بربه أو في النعيم المقيم وقد علمت أن الله جل وعلا يخلق في عنبة واحدة مثلا للعارف لذة ما لا يجده أهل الجنة من جميع نعيم وجميع أعمار جنتهم فإذا تمهد هذا فقم بين يدي مولاك بالعبودية الخالصـــة من غير غرض دنيوي ولا أخروي ولا برزخي بل لما عليه من جمال وجلال الكمال تكن أســـعد الناس بمولاك ولا تغتر بزخارف الحظوظ التي هي مهلكة العابدين ومزبلة المطرودين فليكن حظك من مولاك أن جعلك آلة

---

[8] (72) سورة الزخرف.

لـذكره لا غير وإن عبده لغرض الولاية والفتح والكشـــوفات وأتقن فيه إتقاناً محكماً على حســب ما عند أهل الطريقة الثانية المحدثة بعـد القرون الثلاثـة بعـد إدبار القلوب عن اللـه التي بنوهـا على الحظوظ من الفتح والكشوفات قصداً منهم لترقيق الحجاب لا غير لا أنها طريقة جادة بل هي معوجة معلومة الاعوجاج لكل عاقل لكن بنيت على الحظوظ أولا لغرض السياسة والرياضة فإذا رقت الحجب وانفتحت مسام بواطن أهلها يعرف المسلك أهلها بسهولة عن قصـد الحظوظ الذي هو عين الشـــــرك فيتطهرون ببركة المســلك العارف لا غير ولا تحمد عواقب أهل الطريقة الثانية إلا عنـد اختتـام أعمـارهم وانتهـاءِ أمرهم فمن بقي منهم حتى يرتاض ويرده المســـلك إلى الطريقـة الأولى الجادة التي بنيت على إفراد العبودية لســيادة المالك الحق جل وعلا وهي طريقة النبي صــلى الله عليه وســـلم وطريق أتباعه الصــحابة وأتباعهم فأهل الطريقة الثانية لا يسـمّون التابعين لرسـول الله صلى الله عليه وسلم الاتّباع الكلي حتى يتخلّصوا للأولى لأنها ليست العبادة مقصودة المحدثين لها من العارفين بل مقصــودهم إطماع القلوب المدبرة عن حضــرة الله على وجه الســـياســـة فإذا مالت قلوبهم إلى طلب كرامة الله فطموهم منـه وبينوا لهم وجـه العبوديـة فيلتحق بعـده بالســـعـداء بحضـــــرة ربهم وعليه فإن أتقن العمل بوجهه يدر له الفلك بســهم

الولاية والفتوحات والانفعالات بهممهم وخرق العوائد المألوفات بأضدادها فيعظمون في العالم العلوي والسفلي وذلك جزاؤهم لأنه ما عبد الإله وربما يقطع له رأسه بسيف القدرة ويطاف به في عالم الحس فيقال هذا جزاء من اختار الولاية على خدمة مولاه أعيذ نفسي وإخواني من سوء القضاء اللهم إلا إن تدركه عناية إلهية فتخرجه عن حضرة حسه حتى يشهد الحق ويتبرأ من ولايته وقوته ورجع إلى لبس ثياب العبودية بحيث لا ينازع سيده في ردائه وإزاره الكبرياء والعظمة فيكون حينئذ مراداً له جل وعلا فافهم فإنه موضع زلق موبق لأن كثيراً ممن أفيضت عليه الولاية بحسب عمله المتقن وهو محجوب عن الحق يتصرف بها بلا أدب حتى يطرد بسوء أدبه وربما يخيل له في حال الانفعال أنه الفاعل وأنه عين ربه فيتكلم بكلمة الكفر نعوذ بالله من سخطه فيهدر دمه على لسان الشريعة محقاً أو مبطلا فلا يلومن إلا نفسه ومن تطور في غير شكله فدمه هدر محقاً أو مبطلا وإياي وإياك من دعوى الربوبية فإنها رجس فالعبد عبد وجب عليه ألا يتعدى طوره على أي حال والولي هو الحق جل وعلا لا غير وإنما أفاض اسم الولاية على غيره لسياسة ملكه لا غير وإياك أن تهمل حق العبودية التي هي أصلك فتغترّ مع المغترين وأنواع المغترين كثير بل إن تجلى فيك الحق على سبيل القهر فانهض بالله لا بك

مفوضــاً مؤتمراً بأمره وأنت في هذه الحالة غير عابد لمولاك بل إنما حصـــلت على نتيجة عملك المتقن فكلما ازددت خدمة على هذا الوجه ازددت بعداً من الملك الحق فافهم واعلم أن الأذكار وأنواع العبادة المرتبة عند العلماء لملاحظة خاصيتها من صلاة ذات ركوع وســـجود على الكيفيات المتوجه بها على ما قرره في إحياءِ العلوم وقوت القلوب وكتاب جواهر الخمس وغيرها وصلاة الضحى وما حكي عن الشــارع من الثواب المرتب عليها وأذكار مقررة بلســان الشــرع كالأسـماء الحســنى المفصـل كيفية التوجه بها في جواهر الخمس للشـطار وشـمس المعارف وغيرها وكذا الطلاسـم المفهم معناها المركبة على يد الإمام الشـــاذلي والإمام الغزالي ومن تبعهما وأما الطلاسـم المجهول معناها كخاتم سـليمان عليه السـلام فحرام تناولها فكل ما ذكره العلماءُ فيها صـحيح لا شـك فيه وكل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسـلم في ذلك صحيح لا شك فيه لكن مقصـود الشارع فيه ذكر فضل الله تنشيطاً لهمم السالكين المريدين في حال طريقهم لا أنه حرضـهم وأغراهم عن التعرض بهممهم لذلك في حال توجههم فإن التعرض له في حال التوجه يقدح في العبودية ولا شـك أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله الله لتصحيح قصد السالكين والتائبين والعاصين فيصـــرف خطابه لكل مقام يناسبه وهو صـلى الله عليه وسـلم يتلون في مراتب الدين الثلاثة ومواقفه

التسعة فيوجه خطابه لأهل المواقف بحسب الشفاء لكل مريض منهم فالعاقل يأخذ دواء يناسب علته من ألفاظ الشارع ولا يتصرف كل دواءٍ في كل علة بل كل واحدة لها في ألفاظه ما يناسبها لأنه هو الطبيب الحقيقي فالعاصي ينقمع وينزجر بذكر أليم العقاب فيتوب ويبدأ السلوك أولاً والتائب ينشط بذكر ثواب التائبين وهو العفو من الله جل وعلا إفضالاً منه والمخلص تزداد همته بذكر الثواب المرتب على عمله ويزيد مجاهدة وهي خير من البطالة والمقرب يخاف ويدهش وينقبض عند سماع الثواب ولو من الشارع مخافة أن يكون من المطرودين المبعدين من حضرة سيدهم فيزداد انحياشاً لجناب الحق ويسري فيه سر كلام النبوءَة فيزيد تجرداً مما سواه ويصحح وجهته ببركة الخطاب مجرداً من الغير والغيرية فيزيد قرباً على قرب مثاله أن الصبي الأحمق بصباه إذا هرب من حضرة أمه المشفقة عليه إلى حضرة الصبيان أمثاله بين كبير وصغير عقل وصغير جسم وعقل فإن لسان أمه يقول له فانحش إلي وابق معي فأنا الحنينة عليك القائمة بمصالحك العارفة بثمنك لأني ولدتك فإن امتنع ترغبه بمثل بيضة ورمانة وحلواء وحاجة فتمنيه بها يا ولدي إن رجعت إلي أعطك حاجة تارة تظهرها وتارة تخفيها ومقصودها الرجوع إليها فإن رجع عن شراده تمكنه منها وإلا أمسكت عنه فإن رجع ما رجع محبة

في أمـه وإنمـا حملـه الهلع ولا يبقى في حجر أمـه وإن رجع مطمئناً لأنه إنما رجع لغرضــه فإن أكل الرمانة أظهرت له الأخرى أحســن منها حتى يكبر ويعقـل فإن عقل ترك ونهمته إما البقاء وإما العقوق نعوذ باللـه وإذا امتنع من الرجوع بعد المبالغة في إظهار الحاجة تتركه وهواه وربما تحرض عليه الصبيان ليضــربوه ويسبوه ويهينوه محبة فيه للرجوع إليها فإن أهين أو أدمي يهرب إلى أمه للشـــكاية فتقول له أنت الذي تركتني وتبعتهم ليـــبارك لهم في صحتهم لأنك اخترتهم فـإن أكثر الشـــكاية عليها ولزمها تســـتقذر له مخالطتهم وتظهر له أنها معادية لهم وهي التي حرضـتهم عليه سـياســة منها للبقاء عندها لأنها عاشـــقة فيه فإن انحاش لها وجلس في حجرها قبلته ولا تبالي بما فعله في حال صـباه والصـبيان وإن كانوا مبكين لـه يترددون عليه بالنداء للعب معهم على عادة أهـل الأهواء فإن اسـتقذرهم وعدّ[9] مجالسـتهم ومرافقتهم سماً بما رآ عياناً من إذايتهم له وقطعهم إياه عن حضــرة والدته المدبرة له يبقى مكفولا مرضــياً موصــولا مع أمه وإن نســي ما فعلوه معه يخرج إليهم ويكبر معهم فاســد الطوية مقطوعاً ملعوناً في حضــرة أمه وهو مولودها تحبه ويبغضـها وكذلك إن خرج للصـبيان وعظموه ورأسوه وأمّروه عليهم

---

[9] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "وأعدّ".

فإنه لا يرجى برءُ بلائه لأنه وجد الرياسـة مع غير أمه فينقطع دائماً بسبب اللهو والصبي المنحاز إلى أمه الذي لا يألف غيرها ولا يريد الانقطاع عنها لطهارة أصله وشهامة مخبره لا يفارقها ولا يربي ألفة على أحد حتى إن جدته أو خالته إذا طلبته من حجر أمه ينظر إلى أمه لما عرف بباطنه أن أمه تحبها فإن أذنت له أمه ظاهراً وباطناً يمشي متغنجاً متبختراً مظهراً أنه لا يريد لولا إذن أمه فيبقى بين يديها لحظة وقلبه مع أمه وعينه كذلك وهو يفرفر إليها فإذا استمتعـت به في قدر لحظة ينسل إلى أمه فإن منعته الخالة مثلا يبكي حتى يرجع هذا شأن سالم الفطرة فلا يحتاج إلى تمنية أمه للرجوع ولا يعرج على مثل البيضـة بل كليته في حضـرة أمه مستوحشاً غيرها بالفطرة فأمه تكرمه بأي أنواع الإكرام من بيضة وحلواء وثياب فاخرة تمتعاً به لا هروباً فالكبير في حضـرة أمه العاقل العارف الماهر بأمر صلاح نفسه وأنه مقصور على حضرة أمه لا يمنى أصلا فإن منته أمه اختباراً يستحيي وينقبض ويخاف أن يكون صغيراً أو هارباً ممكوراً به فيضرع ويبكي لما خاف من المكر حيث نزلته منزلة الصبي في الخطاب ويزيد قربه بخوفه من مكر أمه ما للكبراء والشـهوات ((**ما لي وللدنيا**))[10] ﴿**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ**

---

[10] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 6352.

الأَعْلَى﴾[11] **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾**[12] فمثال حضـــرة الأم حضرة الحق ومثال الأم في الحنين والشفقة سيد العبد وله المثل الأعلى ومثال الهارب مثل العاصي يمنّى بالجنة ويزجر بالنار للرجوع ومثال البيضة الجنة وما فيها فإنها ما ذكرت في القرآن إلا لمثل ذلك شفاء ودواء وترياقاً لكل أحد. فالهارب العاصي عن حضرة مولاه ينكف إن سمع عقاب الله ويخافه إن سبقت له السعادة بحسب الفطرة والتائب يزيد في الأعمال الصالحات لما سمعه من الجنة والمخلص العامل عملا ينسبه لنفسه ويلاحظ في حال عمله الثواب المرتب فيزيده الخطاب بمثل ذكر المغفرة والقرب مجاهدة. والعارف المقرب الكبير يزيده الخطاب بمثل الجنة والحفظ من النار والمغفرة انقباضا وخوفاً من أن يكون ممكوراً به وهو في الحضرة ويعد نفسه مقطوعاً بحيث لا يعول على حاله ولا معرفته بربه ولا بوصاله لأنه لمّا سمع ذكر الثواب خاف أن يكون من العاصين أو التائبين أو المخلصين فيخاف من مقام الإخلاص كما يخاف العاصي من النار ولا يزال يخاف من مقام ربه فله جنة معرفة ربه ممزوجة بالأدب الذي اقتضاه وهو الركون إلى مولاه والرضى بما رضيه من

---

[11] (60) سورة النحل.

[12] (26) سورة البقرة.

جنة أو نار وجنته لذة شهود مولاه وناره نار القطيعة التي هي أحر نار فيبقى بأدبه موصـــولاً في الدنيا والآخرة ولا يفرق بين الدوائر الثلاث فحضـرة الدنيا والبرزخ والآخرة على حد سـواء عنده لأنه متمتع بلذيذ خطاب سـيده وجماله ويحمله الجمال عن ترك الميل لغير ربه خائفاً وجلاً آنســاً فانياً صــاحياً ميتاً حياً جامداً متصــرفاً منقطعاً عن الخلائق متصـلا بهم سـاكتاً متكلماً مشـيراً عاجزاً عن الإشارة ضاحكاً باكياً عاقلا والهاً مميزاً ساكراً فتجتمع عليه الأوصاف كلها في نفس واحد متصـفاً بصـفات ربه متجرداً عن صـفات نفسـه أديباً عالماً جاهلا فتشـــــرق عليه أوصـاف العبودية كلها في كوة السـيادة في كل نفس من أنفاســه فلا يحصــل على معرفته بين الناس إلا من أحبه الله لأنه متلون بتلون الخلائق كلها بجلوســه على كرسـي العبودية فتحصـل أنه توجه خطاب الشـارع إلى جميع الأجناس من العبيد يداويه الخطاب العزيز بما يصـــلحه ويزيده ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ**﴾[13] فالمخلص عند السـيد هو الذي يعرف خطاب سيده بالإشارة ويفهم من عمل لفظه ومن كل إشارة ما يبرئ أسـقام الأجناس كلها وهذا العالم حقيقة الذي يســتحق التقدم والعلم وغيره إنما يزيد سـقماً على سـقم لكنه لا يريد التنزل

---

[13] (61) سورة الصافات.

من حضـرة الحق إلى حضـرة الخلق اللهم إلا إذا اقتضـت حكمة سـيده التنزل فلا يكاد يحب إلا التنزل لأنه مراد سـيده سـواء فيه صـلاحه أو هلاكه فإنه لا مراد له مع مراد سـيده فيظهر المخالطة ويظهر المجانسـة لهم ولا مناسـبة إلا ما اقتضـاه الأمر الإلهي فافهم وكن من الشـــاكرين فـإن كثيراً من النـاس اختلطـت عليـه الطرق فيجمـد على الظواهر والحظوظ محتجاً بأن الله أمرنا بطلب الجنة بالأعمال الصـالحات ذاهلا عن الطب الإلهي لقلة الأطبة في زماننا على الوجه الأكمل أي ظهورهم مع كثرتهم مغرور فاسـمع قوله جل وعلا ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَـادْخُلِي فِي عِبَـادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾[14] فـالمطمئنـة هي نفس المخلصـــين والإخلاص نهـايـة الأوليـاء أهل المجاهدة الملاحظين ثواب أعمـالهم وقـد أمرهـا اللـه بالرجوع بالانســـلاخ من التعرض للثواب فإن رجعت بحيث رضيت بما رضـيه مولاه سميت راضية مع نسـبتها العمل لنفسـها فيجب عليها التوبة من نسـبة العمل لغير الله جل وعلا فإذا تجردت من نســبة العمل لها متبرئة من نفســها عالمة بأن الله هو الفاعل المحرك المسكن له هو ﴿**الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ**

[14] (من 27 إلى 30) سورة الفجر.

شَـيْءٍ﴾[15] **﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾**[16] خطاب لأعز وأكبر العبيـد ودخلـت عـائمة في بحر الوحدة وحدة الذات ووحدة الفعـل وتبين لهـا أن الخلائق كلها فعل للحق بمنزلة كتاب مكتوب بمـداد واحـد واعتقـدت أن تجزئـة الكتـاب إلى حروف وأحزاب وجمـل لا يخرجـه عن المـدادية ولا عن كتـابيـة الحق جل وعلا ونسـب لمولاه كل ما رآه ولا يرى أحداً قادراً على حركة وسـكون بل يكون كل شيء عنده هباء في شمس دخلت بكوة لا وجود له وجوداً يحصـل عليه بل هو مبصـــــر غير ثابت ولا نافع ولا ضار ويعتقـد وجود الهبـاء وجوداً خيـالياً وأنه لم يكن إلا الحق جل وعلا وأن كـل مـا ظهر إنمـا ظهر من النور الإلهي تكن مرضـــيـة عنـد مولاها فإذا رضـيها يسـحقها ويدقها دقا ناعماً حتى يفنيها لأوصـافها ويميتها ويربيها بالسـقي الإلهي بدخولها في حضـرة صـفاته وأسمائه. فإذا تنورت وتصـفت وامتلأت بما أفيض عليها من حضـرة أسمائه وصـــفاته تجلت وتقوّت لحمل أثقال الســــــــر الإلهي فإذا أمرت وأودعـت وختمت وانغلقت وانبرزت انتقلت للمعرفة الإلهية فتكون جامعة مانعة محاطة بســيادة ســيدها مرادة معظمة ســائرة لما لا نهـايـة لـه من بحور أنوار الكنه الرباني فافهم واجزم وهو قوله تعالى

---

[15] (21) سورة فصلت.

[16] (17) سورة الأنفال.

﴿**وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ أي جنة معرفته وادخلي في عبادي وهذا هو العابد لله لا غير فإن غير هذا عابد لهواه مستحق غضب ربه لولا رحمة الله عليه فعمله بالقصد معه عين القطع لكن سبق ما سبق في علمه الذي لا يبدل أن كل من عمل عملا وأتقنه دار له الفلك بسهمه. وعليه فمن عصى الله معصية متقنة بشروطها بهمة نافذة جاهدة في المعصية على وجه الجحود والاستكبار عن الربوبية يدر له الفلك بسهمه وهو غلة عمله التي هي سخط ربه قطعاً ولا يغفر ذنبه أبداً لأنه جل وعلا حكم بأن من عمل عملا متقناً يدر له الفلك بسهمه وقد أتقن العمل بالجحود والاستكبار والتصحيح على عدم العود نعوذ بالله جل وعلا ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**﴾[17] وإن عصى الله اتباعاً لنفسه من غير قصد الاجتراء على الربوبية ولا جحود نعمته ولا استكبار عن سيادته فهذه معصية غير متقنة فإن الفلك لله الحمد يدور بسهم غيره ولذلك يغفر بالحسنات ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ**﴾[18] وبالندم والتوبة والاستغفار وغيره من أنواع المكفرات المروية عن الشارع غايتها أنها تأكل من الحسنات إن لم يتب منها صغيرة أو كبيرة فإن تاب تاب منها تزد على الحسنات بحسب الفضل الإلهي. فكل ما ورد أنه يكفر فإنه

[17] (48) سورة النساء.

[18] (114) سورة هود.

يكفر سائر جميع أنواع المخالفات لله الحمد لأن الفلك لم يدر له بسهمه غايته أنه مسيء جداً حيث اقتحم ما نهي عنه فيستحق سخط مولاه لولا فضله السابق وهو أنه لم يدر له الفلك بسهمه لعدم إتقان العمل وهو منغمس في فضل ربه ولذلك يحمله سر إيمانه على عدم الإصرار إلى الممات أي عدم نية الإصرار إليه بل كل يوم يحدث نفسه بالتوبة وكلما سمع كلام الله سرى فيه نوره وأما إن نوى الإصرار عليه إلى الممات فهو عين التجرء على حضرة الربوبية ولذلك تنسد مرآته ولا يرجى فلاحه لأن الفلك دار بسهمه بالإتقان فافهم. ومنه تعلم أن أهل المعاصي من المومنين المصدقين برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم لم يكن فيهم لله الحمد من يستحسن المعصية مستكبراً بها على الربوبية وإن كان مجاهراً به عند إقرانه فإنه خائف من مقام ربه بدليل أنه يستقذر نفسه ويستحي من العلماء والمساجد فهذا كله لا يدور له الفلك بسهم الغضب وإن كان مسيئاً جداً حيث خالف أوامر سيده لكنه غطاه الفضل الإلهي. ولهذا لا يغضب الحق جل وعلا على واحد من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلو غضب عليهم لتبدل حكمه وهو لا يتبدل وتبدله بدوران الفلك بسهمه وهو غير متقن للمعصية. ولذلك من سبق أنه يدخل النار من أمته صلى الله عليه وسلم يدخلها مرضياً من سيده ولو فعل ما فعل من كل معصية

غير متقنة فلو أتقنها لكان كافراً بل يدخلها محبوباً مرضياً تطهيراً له مما أسرف حيث ربت مساويه عن حسناته بحسب ما يعلمه الله لا على وجه المقاصــة فتهيج عليه النار شــفقة فتحرقه مرة واحدة ودفعة واحدة فتخرجه عن حسه فيبقى فحمة مطهراً بها حتى يشفع نبيه صـلى الله عليه وسـلم ولا تخرج فحمة حتى يأذن نبيها إظهاراً لأهـل الجنـة قدر نبيها لا غير وأنه لولاه صـــلى الله عليه وســـلم لاستمر من دخل فيها ولدخلها من لم يدخلها فإذا تبين لأهل الجنة وأهل النار ذلك الســـــر الإلهي خرج جميع من لم يدر له الفلك بسـهم الغضـب فيظهر فضـل الله للفريقين فيغرق الحق جل جلاله فريق الجنـة في محبته وفريق الكفر في غضـــبه دائماً أبداً فعليك بمولاك فالمنة له عليك والزم أعتاب العبودية الصــرفة المجردة من غير وغيريـة تحظى[19] في هـذه الـدار بمـا يفـاض عليـك في البرزخ والآخرة وتتنعم في كـل نعمة الدنيا من أكل وشــــرب ونكاح بمثل ذلك في الجنة ولو كشـف الحجاب ما ازددت يقيناً فإذا تمهد هذا فـاعلم بـأن اللـه عز وجـل مـا ملكنـا العبيـد إلا لنفهم بهم عن اللـه وكذلك كل ما أفاضه علينا وخلقه ونسبه لنا ما نسبه لنا إلا لحكمة وهي المعرفة بأن المالك يفعل في ملكه ما يشــاء واعلم بأن المالك

[19] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "تحظ".

للذوات والأرواح والأجرام والأعراض في الحقيقة هو الله جل وعلا وغير الحق مخلوق له مملوك له مقهور بسيف المالك الملك لا يملك نفسه أي جوهره فضلا عن عرضه فضلا عن عمله فضلا عن مال منسوب له وغيره وملكية غير الحق جل وعلا ملكية ظاهرية مجازية وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له فملك الحق حقيقة وهو استعمال اللفظ فيما وضع له أولا والواضع الفاعل المختار الحق لتقتبس من الحقيقة ومن المجاز أحكامها بالوهب الرباني وهو العقل الغير المكتسب بل مفاض من حضرة الرحماني فإذا علمت أن المالك واحد لا تعدد يتضح لك أنك أنت ومن ماثلك في المخلوقية عبد محض لا تأثير لك ولا حركة ولا سكون إلا به جل وعلا فالمملوك لا يملك مع سيده شيئاً نفسه وحركته وسكونه وكل ما نسب لك ليس ملكاً حقيقياً لك ولذلك أمرك بالاقتصاد في كل شيءٍ فإذا تمهد هذا علمت أن العبد له حد يحده ووصف يناسبه وحده الضعف والذل والفقر ووصفه اللجاءُ والاتّكال على سيادة سيده فالسيد تقتضي سيادته الإمداد من رزق وإحياءٍ وإماتة وبعث وفعل كل ما تعلقت به مشيئته فمن أول وهلة الملك ترتب في علمه الإمداد بلا كلام ولا سؤال والعبد بمجرد علمه علماً حقيقياً بترتبه في ملك سيده يعلم قطعاً من باطنه أن رزقه في يد سيده فلا يحتاج إلى من يعلمه ذلك وإن كان من

أجهل العبيد بل يعلمه بالفطرة الإلهية على سبيل الإلهام الرباني فتجد العبد غني النفس عن التعرض لأملاك نفسه لعلمه أنه مملوك لا يملك لأنه غني بسيده ولا يتعرض لسؤال الغير مخافة سيف غيرة سيده وإن أجاعه السيد لحكمة هذا وعليه فنزل نفسك منزلة ذلك العبد المملوك العاجز المسكين واعتبر فكل ما لا ترضى أن يقابلك به عبدك المملوك ملكاً مجازياً فالسيد الواحد الحق هو أولى به فيا سعادة عبد استعمله سيده فيما يرجع عليه بالرضى من سيده ويا خسارته إن أهمله بعدله فذلك شؤم لحقه بنفسه لنفسه منها وعبيد الخدمة كثير فبعض يستعمله بفضله وبعض يهمله بعدله فالحمد للملك على كل حال فله أن يهمله ويعذبه بترك خدمته وله أن يرحمه بفضله غير ظالم ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[20] لأن السيد يتصرف في ملكه كيف يريد من غير منازع لأن سيادة المالك متحدة فيجب عليك أيها المسكين أن تعلم أن أمورك كلها بيد سيدك فلا تحتاج إلى تفويض لأن السيد لا يتوقف على توكيل عبده لأن الوكيل أجنبي وهذا مالك ومعنى التفويض في لسان الشارع الإقرار والاعتراف الباطني بأنك أمورك بيد سيدك لا غير لأنك تأذن له كعادة الوكالة والنيابة والتفويض منه لا منك ومعناه

---

[20] (46) سورة فصلت.

منك الإذعان له فإذا أفاض خير الدنيا والآخرة ونسبه لك فاقطع بأنه لا حق لك فيه إلا مجرد الانتفاع ثم ينقل لغير من العبيد بعدك أي بعد تصرفك فإن السيد إذا قال لعبده ملكتك أمر كذا وهو لك مقصوده سياسة النماء والاعتبار لا أنه لا نظر للسيد عليه أرأيت أنه إن بذره أليس له أن يعاتبه عليه وهو أكبر دليل عليه وما جعل شيئه تحت نظر عبده إلا للاختبار لأنه لا يحب من يتجرأ عليه في الشيءِ المملك وسيده أولى به ثم اعلم أن العبد المستعمل في غرس مثلا لا يخطر بباله أن العمل الذي هو الغرس له بل إذا سألته عن نفسه يجيب بديهة بأنه عبد لفلان يجيب بلا توان وإن سألته عن الغرس يجيب بلا تأمل بأنه لسيده فلان وإن كان من أجلف العبيد ولا يتصرف في الغرس إلا باذن سيده ويغرس خائفاً من سيده وربما يخرج الغرس مراراً وربما تموت الشجرة أو ربما لا يحسن الغرس أو ربما ينزعه عن غرسه ويملكه لعبد آخر ويهمله هو وحظه من العز إن كان عبداً للسيد الكبير فإذا شاهد مولاه تنصبّ عليه صواعق العز والفرح والهيبة والأنس فلا تسكن فرائصه حتى يشاهد جمال سيده بالتنزل والملاطفة به ويسمع لذيذ خطابه مع قرائن الأمن منه وهكذا دائماً أبداً وإن غرس ما لا يعده العقل بل يعتقد أنه إن زل زلة واحدة في عمره له أن يعذبه بها إن قابله بعين السخط وله أن يتفضل عليه

بالإغضاء إن نظر إليه بعين الرضى ولا يعول على عين الرضى ولا على عين السخط فله أن ينظر في كل نفس لأحدهما أو بهما ولا يركن إلى حال بل يرى نفسه مقهوراً في قبضة المالكية دائماً فكن أيها الأخ كذلك مع مولاك الحق تحصل على كنز العبودية ولا فضل لعبد على الآخر إلا بالأدب مع السيادة ما لك أيها المسكين تدعي الحرية وتمن بعملك على مولاك وتطالبه بالأجرة عليه وهل رتب لك سبحانه الأجرة على عملك إلا بعد انطماس البصيرة والبعد من حضرة القرب فلا يقدر عبد أياً كان أن يطالب سيده ولا أن يمن بعمله لكن إذا تصدت المرآت تقبل كل وسخ فشتان ما بينك وبين العبودية وإن ادّعيتها أين لك العمل الذي نسبته لنفسك فأنت منه وآلة الغرس والبلد منه فأسقط الطمع من ثواب العمل فإنه لولا فضله ما وفقك له وليس من شأن العبد التعرض له بل من شأنه العمل مع الخوف منه فلا يرى نفسه أهلاً للعمل فضلاً عن الأجرة لكثرة العبيد الذين تظن فيهم عندك الأهلية فأهملهم واستعملك أنت فتمن عليه بنفسك وأنت مخلوق له وما باشرته من العمل فالعبد إذا قال لسيده المجازي أعطني الأجرة فقد أساءَ وادّعى الحرية حيث طلب الأجرة فالدنيا والآخرة والبرزخ إنما هن ديار الملك وأنت عبده فالسيد جل وعلا لا يسكنها لاستحالتها لأنه غني عن المحل والزمان والمخصص وإنما

خلقها لك فاســـتعمل الأدب معه ولا تراع الديار ولا ما فيها فإنما هي مقهورة تحت تصـــريفك خلقك منها وأوقفك عليها وأطعمك منها وألبســك منها وزوجك منها وأركبك منها رغماً عليها فلا تحبها إلا على وجه محبة العارفين النعم منه وهو أنهم يعتمدون على ســيدهم ويعتقدون أنها هدية معظمة مرســلة من الســيد لهم فيتســارعون لها لأنها بركة الملك عظمهم الملك بها فيعظمونها كما يعظم صاحب السلطان كسوة سيده ويرى لها احتراماً ويقوم بشكر السـيد من غير مبالاة إلى نفس النعمة وإنما يعظمها باعتبار سـيده ويتصرف بها على الوجه الذي أهديت له مراعياً حق السيد مراقباً له في كل حال لأنه يحب أن يرى أثر نعمته عليه فيســارع في حفظها من الآفات والأوســاخ ليحفظ وجهه مع ســيده لا غير ولا يعشـق النعمة كما هو شـأن الضـالين فإن العاشـق ينسـلب عقله بالمعشـوق فإذا عشـق النعمة سـقطت حرمة المنعم بين يديه وهو مهوى الهلاك. فمثال النعمة مثال ملك قاهر عظيم الخزائن والعبيد أرسـل لبعض خاصته ما يأكله وما يشـربه وما يلبسه وما يركبه وما ينكحه ولعظم حظوته عند ســيده أرســلها له على يد أعز مملكته مصحوبة بكتاب كتبه السيد بيده تعظيماً له مشتـملا على تعظيمه والسـيد يبجل عبده بأنواع لذيذ الخطاب مثله رحمة منا ورضوان على عبدنا الكبير الشأن فلان وبعد فقد بلغ قدرك عندنا حتى كتبنا

لك كتابا بيدنا على خلاف عادة الملوك لحظوتك عندنا وبعثت إليك عبدنا الذي بحضرتنا لا يفارقنا ولا يدخل علينا أحد إلا به وهو الذي اصطفيته بفضلي لخدمتي على سائر مملكتي وبعثته بالكتاب الذي تناولته بيدي ونزلت مرتبته لخدمة حضرتك السنية وعليه فبمجرد وصوله أكرمه وأكرم كتابه بقراءته تعظيماً وبفهم ما فيه واعرف حق المرسل لك فإنه أعز العبيد لدي وهو الواسطة لجميع مملكتي فافهم وبعده فاقدم لحضرتنا ولابد بصحبة حامل الكتاب فإنه عارف كيفية السلوك وعليه مهابتنا وجلالنا محرراً ما في كتابنا من الإشارات والآيات لأولي النهى البينات فخذ منا ما وجه لك من النعم فاستعن بها على السلوك لحضرتنا السنية فاعلم أني ما أرسلت إليك إلا لتحضر حضرتنا دائماً على عادة كمال أهل دولتنا إجلالا للرسول الذي أرسل إليك وإياك أن تتراخى فإنه عين الطرد وإياك أن تغرك النعم التي أهديت لك لتستعين بها على السير إلينا فتكون من المغرورين بالنعم فتطرد عن مقام الحظوة فإن فعلت ولم تصحب رسولنا ولم تكن عند إشارته ولم تكرم رسالته بامتثال أمره واغتنام صحبته تكن عندي من عبيد المحنة دائماً ولا أبالي فإن أتيت استقلالا بلا صحبة الرسول فإن أعداءَك

يقطعونك عني بتزيين النعم بين عينيك[21] فتغتر بها فيصحبك المقت كما صحب من جحد كتابي ورسلي ولم يكرموهما بمتابعتهما فقد حكمت على نفسي أن كل من لم يمتثل أمري ولم يقدم مع رسولي بالفرح والشوق لحضرتنا إذ كنت أنا السيد ورغبتك وطلبتك وأكبرت شأنك بالكتاب إليك وبالرسول وأنت مستمر على الإباء وكرهت حضرتنا وكرهت حضرة رسولنا وكتابنا فانظر ماذا يلزمك عليه فإني حكمت حكماً لا يبدل أن أوجه رسولا منا معداً للغضب والإغاظة والنكال فيجرّك إلي رغماً على أنفك ذليلا مهانا مغضوبا عليك ولا أبالي فإنك قد تعديت طورك حيث أنفت[22] منّا واستعملت نعمنا فيما يبعدك منا فعن قريب يظهر أمرك فتكرم بإكرام لم تعرفه ولا يخطر في قلبك إن امتثلت أو تهان إهانة لا تخطر في بالك ولا طاقة لك عليها إن خالفت فاقرأ كتابي بقلبك وكليتك فلا أعذرك بجهل ما فيه لأن الرسول بيّنه لك وإياك ثم إياك من الاغترار بغيرنا فإنك ملحوظ عندنا مكسوب لنا ولا حق للغير فيك اللهم إن أردت الهلاك بالبيان فلك الخيار في إصلاح نفسك وإهلاكها وكم أهلك نفسه ممن قبلك عظمتهم وأرسلت إليهم نعماً منا فعشقوها فأتلفتهم عن خدمتنا

---

[21] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "عينك".

[22] أنِفَ: تَقَزَّزَتْ نَفْسُهُ من الشيء أي تَنَزَّهَ عَنْهُ، تَرَفَّعَ عَنْهُ.

وسـيادتنا وقد بلغ بعضـهم بسـببها دعوى السـيادة والحرية تعالياً وتكبراً وطغيانا عنا وإياك أن تكون مثلهم وكم من عبد أرسـلت له وامتثل فقرب معظما مكرماً بما لا يخطر على قلبه فضلا أن يعرفه أسـلم تسـلم وإلا فلا فامتثل أمرنا فمن نسـينا نسـيناه ومن تأدب معنا أغنيناه ومن تجرأ على كتابنا أهلكناه فذلك عادتنا المسـتمرة إلى الآن وإياك أن تسـلك سـبيل المغضـوب عليهم من اليهود أو سـبيل الضـالين ولا سـبيل من أنكر وجحد وجودنا وقهرنا وقد بالغت في الأعذار فقد أعذرتك نجماً على نجم فكلما رجعت قبل نزول غضـبنا قبلناك لكن نزول غضـبنا غير محقق عندك فامتثل بالفور مع الكتاب أول وهلة وعظم أمرنا كما أمرك عظمناه مع أنك عبد مملوك لا طاقة لك على شـيءٍ وإنما اصـطفيتك بالخطاب وناديتك بكل ملاطفة لتكون سعيداً فالسعادة ما علمته لك سعادة لا ما تعلمه أنت فاقدم أدبّر لك واترك معي تدبيراً وإياك ثم إياك من البعد عنا فإنه عين الهلاك وقد ناديتك وأمرتك لحضـرة جمالنا وبالغت وأطنبت لك في الكتاب وكررت ما لا يجب تكراره وعظمتك بما لا تسـتحقه فافتح عين بصـيرتك واعرف بأنك عبد مطلوب للحضـرة فنفرت فسامحت مرة بعد مرار والسلام من سـيد عظيم قاهر غالب على أمره مالك كل رقبة شـديد العقاب غافر الذنب مؤرخاً بتاريخ بلوغ العبد التكليف والقوة والشـدة

والفراسة لخطاب سيده ونحن عنك أغنياءٌ وعن غيرك لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للمتقين، ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ**﴾[23] فبما رحمة من الله لنت وكن عبداً مطيعاً لأمر سيده فتنبه أيها المسكين من سكرتك التي تقلب لك الأعيان بالأضداد فتنظر السماء تحتك والأرض فوقك لما فجأك من سكر غمرة غفلتك عن مولاك فقد ضبعك إبليس بمثل ما ضبعته حظوظ نفسه لما ترأس على أهل الجنة مائة ألف واثني عشر ألف وخمسة وعشرين عاماً ومثله في السماءِ ومثله في الأرض يعلم الملائكة معرفة الله ويقررهم التوحيد مما علمه من شبه القرب من سيده فعظمه سيده بالرياسة الملكية والملكية فضبعته الحظوظ مع مولاه جل وعلا حيث بنى أمره على الإجارة على العبودية فسرى ظلام الحظوظ وسوءُ الأدب في كليته فتجبر بما نزل به من هواه وتمرد على سيده وعلى عبد سيده فأبدى ما عنده من الغلظة بسبب الولاية على عبيد سيده وفسق بطغيان النعم وانقلب أدبه وحاول لباس سيده يتصرف بلا إذن من سيده فظهر ما كمن من خبثه وسوء طويته فلما انجلى أمره واتضح فسقه في العوالم كلها انقلبت صورته وصارت عين النجاسة الغليظة

---

[23] (128) سورة التوبة.

بسبب حظوظه فاختبره سيده وهو أعلم به يوم ملكه ولم يرض بقضائه وزاده سيده نعماً على ما عنده ليهلكه استدراجاً على عادة سيده مع كل أحد إن الكلب العقور لا يؤخذ إلا على النعمة فرش له بالنعم ليكبر ويزيد علوه على سيده واستكباره فبقدر الصعود يكون الهبوط فأظهر سيده لصفوة مملكته عنده ظاهراً وباطناً إني خالق آدم من تراب وجاعله عليكم خليفة نقمة على المغتر الذي لا يعرف نفسه فأعماه الجهل على الرجوع لسيده إبليس فرضيت الملائكة وأذعنت قبل ظهوره وبايعت وعزلت رقبة الظالم الجاحد امتثالا لسيدها لما فطرهم سيدهم عليه من آداب الحضرة. ((**رب مبلغ أوعى من السامع**))[24] فقرر إبليس الملائكة معرفة سيدهم فوعتها وطحن هو بسيف المكر لما تعرض له من عدم إقامة الوجهة لسيده بل يعبده لغرض نفسه فلما حصل عليه في زعمه ظهرت لوازم باطنه فأظهر الحق جل وعلا صفيه خليفة عنه في سائر الأحكام الملكية وأقامه مقامه في إفاضة ما يريد جل وعلا أن يمد أهل مملكته ظاهراً وباطناً فيسيل منه ما سرى إليه من الأمر الإلهي إلى أهل دولته جل وعلا ترتيباً لسياسة ملكه على وفق ما سبق به علمه اعتباراً للقدرة الباهرة والسياسة القاهرة فهو المنفرد

---

[24] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 169/2.

بالملك والملكوت فلما برز صــفيه أمر ملائكته بإظهار المبايعة له بمثل المبايعة قبل ظهوره بعد تعليمهم سـبب فضـله وهو أنه علم من ســيده ذوات ذرات الوجود الإلهي وعلمه في طينته ترتيب الملائكة وظاهرهم وباطنهم وما يراد به وســائر خلقه فانطبع ذلك العلم اللدني في طينته فصــار العلم ذاتاً له فعلمه سـيده أسـماءه وخواصـها ولوازم التصـريف بها فأظهر الصـفي طلب المبايعة بما تجلى به سيده فبويع مما سوى إبليس الرئيس قبله فإنه تجبر على أمر سـيده فاسـتكبر كل الاسـتكبار فظهر ما انطبع منه في أول نشـأته ورد الكلام على سـيده بعدم قبوله العزل وعدم الرضـى بجلوس آدم في كرسي الخلافة فراوده سيده فقال اللعين في جوابه لا أذعن له ولو تحرقني بالنار على عادة النفس الخبيثة فصدق عليه أنه طلب النار والعقاب من سـيده فأجابته غيرة سـيده وعزتي لأخلقنّها لأجلك ولأعذبنّك بها عذابا لا يعذب به أحد ولتكوننّ أسوة لكل من تمرد على أمر سيده فقال اللعين رضيت بالنار فهي أحلى من ولاية من خلقته من الطينة يتصــرف في فلا يقال علي أنه عزل بسـبب الطين فأقسـم عليه سـيده إن لم يرجع من عتوه حتى يهلكه بإخراجه ومن تبعه في حضـرة قدسه فاستحلى الطرد واللعن والنار والخروج عن سـهم الرحمة بما زين له ظلامه الذي نشأ من حظوظه مضربا على أن العبد لا يريد مع سيده شيئاً فأراد

لعنة سيده به برياسة الحكم فطرد فصار قبلة للهالكين بالحظوظ مع السيد وهو إمام كل من يعبد الله على حظ نفسه فإن أصابه خير لنفسه مناسب لحظه يفرح وإن أصابه قدر غير ملائم له انقلب على وجهه فخسر بما خسر به إمامه. فإذا تمهد لك أن كل عابد للدنيا والآخرة فهو مقلد في عبادته إمامه المطرود المسلوب خير سيده فلا يجيءُ منه شيءٌ لأنه إمامه يجد مساغاً ويجد معه نجاسة لأن إبليس تنجس بنجاسة[25] الحظوظ فلا يعيش إلا في نجس الحظوظ للمناسبة ولأنه ولي على من شابهه في الحظوظ متصرف فيه لأنها نهجه وسبيله ومواضع عطبه فيعطب بها كل ذي حظ من أولاده الجن أو من أولاد من عزل من رياسة آدم عليه السلام فقد حلف يميناً مغلظاً على سيده لسوءِ مخبره أن كل من عبد سيده من أولادهما حتى يدخله مدخله قال له سيده لك ذلك فإني أغنى عن الشركاءِ فكل من شركني في عبادته بحظ نفسه أعذبه مثل عذابك فرضي إبليس فأمر سيده أن يختبرهم ظاهراً وباطناً فمن ناسبه في أصل هلاكه يزلزل بخيله ورَجله[26] وأعطي تشكلا على عادة أهل فطرته

---

[25] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "نجسة".

[26] ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا**﴾ (64) سورة الإسراء. ما كان من راكب

يتشـــكل في ظواهر العابدين وبواطنهم فيحمق كل من كان على شـفا الهلاك بعدم رضاه بأمر سيده فزين لهم مثل الرياسة والعظمة والحقد بجلب الانتقام والغضـب والغش إلى ما لا نهاية له من لوازم الحظوظ النجسـية فيسـكن له بجيوشـه وخيله بسـاتين باطنه فيوسـوس له بالزلازل والصـواعق النجسـية فزين له أمره وذاته ودينـه ويصـغر له غيره من عبيد سـيده فيحتقرهم ويعز الغافل المضبوع المحمق بهوى نفسه من الحظوظ نفسه وكبير أمره فيمتلئُ باطنه بغضب سـيده وسخطه وبسخطه يريد استعلاءً على عبيد سـيده فلا يزال إمامه يربيه بصغار المخالفة لأمر سيده حتى يزين عظائمها فيضـحك عليه بأنه شـيخه ينفعه فيخلصـه فلا يبرح عليه حتى يزين له عدم الرضـى بحكم سـيده وأنه حر لا حكم لسـيده عليـه ويتبرأ منـه ويقول لـه إنما وجدتك ممتلئاً بنجاسـة الحظوظ المنسـية عظمة السيد فنخستك فتبعتني ولا تأثير لي ولا قوة ولا طبع يمنعك عن السلوك لمولاك وإنما من باب الذيب الأبتر يحب أن تكون الذياب كلها مثله فافهم عن الله وطهر نفسـك من رذيلة الحظوظ فإنك إن فعلت فلا يجد المطرود المعرض للإغواء محلا

يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال إبليس، والرجل: جمع راجل، كما التجر: جمع تاجر، والصحب: جمع صاحب. تفسير الطبري.

نجســا فيك فيجد النور فتقتله رائحة الإخلاص وتنفر جنوده عنك فيسـلم قرينك كما أسـلم قرين الصـادق صـلى الله عليه وسـلم[27] فيعينك على ما أنت بصدده من الإخلاص وتشرق مرآتك بصيرتك وتنفتح عيونها كلها فتنظر بها ســيدك وتحيط بها بذرات عبوديتك فتنخرق ذاتك بأوصـاف مولاك بصـحة توجه جميع أركانك بالتعلق بربوبيته فتعبد بشــعرك ولحمك وعظمك وروحك من غير شــاغل عن ســيدك فتحظى بالإمداد الإلهي من غير تعرض له ولا قصـد ولا خطور لعظمة جلاله فلا يخطر ببالك على ســبيل الذوق أنك عابد ولا عامل ولا مســـتحق شــيئاً على ســيدك لما دهمك مما عاينته عبوديتك من الفناء الصـــرف والجمود اللازم فيغرقك ما شـــاهدته في بحر العبودية فتكون عبداً حراً لا قيمة لك ولا تزنك الســماوات والأرضــون لما كنت عليه من وصــفك الأصــلي كما خرجت من بطن أمك فتحبك العوالم كلها لضـــعفك كما تحب الصبي يوم برز لأنه لا بشرية فيه فما من واحد إلا ويحب أن يقبل الصبي ويضمه لصدره لما عليه من الفناء في بحر الضعف وهو لا

---

[27] قال ﷺ: ((**ما منكُم من أحدٍ إلَّا وقد وُكِّلَ بهِ قرينُهُ منَ الجنِّ. قالوا: وإيَّاكَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: وإيَّايَ إلَّا أنَّ اللَّهَ أعانَني علَيهِ فأسلَمَ فلا يأمُرُني إلَّا بخيرٍ**)).

الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2814

يشعر بمن أحبه ولا بمن كرهه بل اندكت مراسمه بضعف أصله متوجهاً لربه فعلامة العبودية أنه لا يحب شيئاً ولا يكرهه ولا يدفع عن نفسه بل هو في قبضة السكر الإلهي موجهاً لها ميتا لها فإن أحس بالحرارة يبكي من غير قصد فلا مطمع لك في الرجولية التي هي محض العبودية حتى تندك مراسمك بالضعف كالصبي يوم زاد فافهم فعز العبد الضعف والعجز والانسلاخ عن نفسه وعزه وغناه بربه فعبد الغني لا يتحمل مشاق الهموم في أمر الرزق وعليه فالعبد البكاء وهو الذي لا يرضى بحكم سيده على أي حالة نزله يتسخطها يغضب سيده وينزله من مقام حضرته عنده لأنه لم يرض أن يكون عبداً بل يتحسر على الباس وهيئة سيده المالكية له فيترتب عليه غضب سيده فيمهله حتى يأخذه بالكلية بالقهر والنكال ولا يبالي لأنه تعدى طور العبودية بزعمه فافهم وعليه فالعبد يقدم حق سيده ولا يشتغل بنفسه إلا بإذن سيده فإن أمره سيده امتثل محبة وشهوداً لحلاوة أمره فلا يصعب عليه شيء من أوامر سيده ولو فيه حتف أنفه بل يتلذذ بالأوامر وينقبض بالإهمال طبعاً من غير قصد بل بفيض إلهي لأنه لا حق فيه لنفسه فيلاطفه سيده بأنواع التعظيم ولذيذ الخطاب وإفاضة بحور أسمائه وصفاته عليه فيقوم لأمر سيده بكليته مؤيداً بأنوار ربه فيعبده في نفس واحد بأعظم عبادة جميع العامة فينوب عن

العامة من العبيد في أداء الحق المالكي فتعطى له مؤونة تصـــلحه أعظم مما يخرجه لبقية عامة خلقه لحسـن طويته وفراغه من نفسـه وامتلائه بربه فتنفعل به الأفعال الإلهية من غير شـعور ولا قصـد فتظهر لـه لوائح بوارق الحب الإلهي فينتعش انتعاشـاً قوياً بربـه فيسـلب خلعة الأسـماء ويحلى بسـكر بحر العمى الرباني فتصـير بحور الأسـماء طوع يده مجرداً من لوازمها حتى يرد إليها فيعام به في الطمس مطموسة حواسه بسيده فإذا أفاق من سنة سعادته صار جبلا راسياً راضياً مرضياً كاملا ناقصاً عند نفسه جالساً على كرسي واحد من كراسي عبودية سيد الكاملين المكملين صلى الله عليه وسلم سيد الكل وإمامهم التي عددها بعدد العارفين من أمته ومن الملائكة الغير المتناهية في علمنا فإذا أجلس على كرسـي نبيه أفاض عليه سيده قوة نوره حتى يشهد به لوائح بوارق سماء نبيه سـيدنا محمد صـلى الله عليه وسـلم فيعلم أنه حقاً إنما يعبد الله بنور من جلس على كرسي عبوديته فيعرف قدر نبيه بما لبسه من مرتبة نبيه وتيقن أن روحه التي توجه بها عين نبيه فيلقي السـلاح لوسـاطته جازما بأنه عاش في ظله لولاه لبقي عدما قبل وجوده فتأدب بآدابه صلى الله عليه وسلم ويتحرك بحركته بحضـرة ربه فيسمع صلاة ربه عليه بجميع قوى أركان سر ذات مرتبة نبيه فتخلع عليه حلة نبيه بحسب ما قسم له منه فيميز وسائطه بينه وبين نبيه

فيعطى لها أحق دوائره فيتمنى حينئذ إذ رآ ظليته أن يكون خادماً لأمته بما اقتطفه بعناية ربه فترجعه حجابية نبيه للشـــفقة على كل خلق بحيث لا يميز إلا فعلا واحداً لربه ويكون مركز نكتة صـــفاء قلوب خلقه مبايعاً لنبيه بيعة العقبة العرفانية فيا لك من عبد إن ســـلكت مســـلك التوحيد توحيد العارفين بإحســـان الوجهة في الشئون كلها ويا لك من ضال إن أشركت حظك بعبادة سيدك فافهم ترشد وإياك أن ترضى أن تحط عن درجة أهل الإقبال الكلي لحضــــــرة قبلة سيدهم فمن أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه وأقبل معه جميع خلقه وقد علمت قبل أن كل خطاب ورد مما يرشــد لطلب الثواب على العمل إنما يســلك به مســلك الصــبي الهارب من حضــرة كافله وأن كل ما ورد عن نبيك مما يرشــد له فإنما هو من باب التربية بصـــغار العلم قبل كبارها فإنه أمر أن يخاطب الكافرين بما يفهمونه ويستقذر لهم حظهم الذي هو صنمهم واعتقادهم الفاسـد من نسـبة الولد له جل وعلا وغيره مما يرشـد لسفاهتهم بقتل أولادهم إملاقًا[28] وغيره لعلهم يرجعون وأن يخاطب العاصــين بما يقطعهم عن المعاصــي بإنذار وتبشــير وأن يخاطب

---

[28] ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا﴾ (31) سورة الإسراء.

التائبين بما لهم من النعيم المقيم ليثبتوا على الطاعة وأن يخاطب المخلصين بما يقطعهم عن ملاحظة الثواب بعملهم وأنهم ليسوا أهلا له لولا فضل الله جل وعلا وأن يخاطب أول المقربين من الدرجات الأربعة لما يرشدهم لنفي نسبتهم العمل لأنفسهم وأن لا تأثير لمخلوق أياً كان ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[29] وأن يخاطب خاصة المقربين من الدرجة الثانية بأنهم ما امتثلوا أوامر الله بأنفسهم ولا اجتنبوا مناهيه بها بل بمحض فضل اصطفاءي ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾[30] وأن يخاطب أهل الدرجة الثالثة من المقربين بأن الشوق هو عين الإرادة والإرادة حجاب عظيم وأن المشتاق لازال مع بقية وأن يخاطب أهل الدرجة الرابعة بأن اللذة التي حصلت لهم بعبادة ربهم ليست منهم بل منه جل وعلا وأن يخاطب العارفين الموحدين بأن الله وحده في ذاته وصفته وفعله فلا تعمّل لأحد في توحيده بل هو الذي وحّد نفسه جل جلاله فلا يحتاج إلى من يقول هو واحد ولا من يقر به ولا من يفوض له ولا من يتوكل عليه فهو الغني المطلق هو الصمد عن كل شيءٍ فيغنيه علمه بكماله بلا مكمل ولا من يقول كامل فيتفرغ العارف عنده من كل قوة وحول فيزهد عن نفسه فانياً بربه ويزهد عن

[29] (96) سورة الصافات.

[30] (17) سورة الأنفال.

توحيده وتفويضه وتوكله وتسبيحه وتقديسه غير معول على عمله ولا عبادته مضربا عن الغير والغيرية آيساً أن يصله شيءٌ لم يقدّر له أو عليه راضياً بقدره فحينئذ يكون عبد ربه حراً بنبيه واقفاً بربه متحركاً به بين أصابع ربه مقبوضاً بقبضته مكفولا برعايته عائشاً بكنفه مفرغاً من كل علة تائباً لربه ثم لا يزال نبيه يخاطبه بأن حضرة ربك أمامك فجد على ما كنت عليه من الجمود كجمود القلم بين يدي الكاتب فخطاب صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم يظهر مظاهر مراتب أمته وهو خطاب واحد وهو إفراغ القلب من الغير والغيرية لكن خطابه أولا بحسب تهيئته شيئاً فشيئاً حتى يصلح للفهم الرباني فإذا علمته بتأمل عرفت أن الشريعة متحدة لا خلاف فيها ولا غبار عليها وأن المجتهدين كلهم على حق وأن جميع أقوال العلماء تفسيراً أو أصولاً وفروعاً ومعقولا ووسائل لها من نحو وتصريف وغيره من جميع خدام الشريعة مرجعها إلى قول واحد وهو الدلالة على الله بحسب ما تجلى صاحب الشرع في قائله بكونه صلى الله عليه وسلم ظهر فيه مظهر مقام من مواقف الدين التسعة فمن كان شرب من حقيقة صاحب الشرع مقام التوبة فلا يفهم من الشريعة إلا مشربه وتجده يبالغ في تحرير المسائل محاولا أن يطبق جميع ألسنة الشريعة على مقامه فيفني عمره كله في الأجوبة والاعتراضات وحل

المشكلات عنده ويعد مجلسه مجلس التحرير وغيره ممن فوقه لا تحرير فيه ويعارض بين النصوص الشرعية قصد نصيحة الأمة فلا يحصل من الشريعة إلا ما ذاقه فيقيد ويعمم بحسب اجتهاده وهو صادق في ذلك كله فإنما الشريعة جميع ما تحته كطبقات الجنان الثمانية فمن كان أسفل الجنة لا يطلع ومن كان فوقه يستغل ومن كان في الثامنة أعطي السراح في الجنان كلها ولا سبيل لمن سفل لما فوقه ليظهر التفاوت والتمايز والتفاضل بحسب الأذواق في الأدب ومن جلس مجلس الموقف الثاني كذلك فاعلم أن الشريعة ذات واحدة لها عين قائمة بأركانها كساق شجرة تفرعت منها غصون متعددة بحسب الغلظ والرقة ولها ثمار مختلفة وأذواق مخالفة فمنزلة المجتهدين إطلاقاً كغصون الشجرة الكبار التي تفرع منها غصون متعددة ومثل العلماء غير المجتهدين كمثل غصون رقاق مدركها رقيق لطيف لا يدركه إلا أهلها لرقتها والغصون كلها مآلها للشجرة والشجرة مآلها للماء وهو الذي انزرع فيها جهد روحها فمثال صاحب الشرع مثال الماء والماء منزل من الله جل وعلا ليطهر به من رجس الكفر والمعاصي والحظوظ فالمعصية على أقسام مغلظة هي الكفر مبني على الجحود ومتوسطة هي المعاصي مبنية على اتباع الهوى لا الاستكبار على الربوبية وخفيفة هي الحظوظ مبنية على طلب الثواب الذي هو من شأن

المستـــأجرين لا العبيد فالمعاصـــي للســـيد من حيث هي مذمومة مطردة من حضـــرة الحق فمن قوي مدركه من كبار العارفين ينظر ببصيرته إلى جميع الشجرة ويغترف من أصلها ويوجه كل ذوق إلى أصل غصنه ويفهم أسرار الشـــريعة كلها ولا يبقى عنده نوع خلاف فيعبد الله عليها كلها من غير تنزل عن مقام عزيمته ومن لا ذوق له إلا في مقامه يتكلم بحسـبه لا غير وينصف وربما يشغله العلم عن العبودية والمطلوب منه أن يتقن عمله بإحســـان الوجهة لمولاه فينقله بحسن أدبه لما هو أعلى فإذا رقى يرى ما دونه جهلا محضاً حتى يوصـــله له ولا يتحقق بما بيناه ويصـــدقه إلا من أعرض عن نفســـه كل الإعراض وأقبل على مولاه كل الإقبال فإذا اســـتولى عـــلى عين الـــشريعة بانسلاخه عن نفسه وزهد عنها بحيث لا يحبها ولو طحنت بأرحية الأقدار يتبين له ذوق ثمار الشـــجرة الربانية فتكثر الواردات بحســـب أذواق غلتها فينبعث عنها استعظام نعمة المنعم فيشاهد سيده في كل ذوق كرؤية وجهه في مرآة فينظر محاسن الألطاف والأقدار فيرى قدراً كالجبال تسقط عليه فيشتاق للاندقاق ويفرح بالمراضخ الإلهية كما يفرح صاحب الحجاب بالجنة فكلما جاءته لجة تعرض لها تلذذاً وإبراداً بإذلال نفسه لمولاه ولا يرى راحته إلا في الصواعق والعتاب علماً أنه ليس أهلاً للانبساط فيفرح بعذاب حبيبه علماً منه أنه ما عذبه إلا ليقربه

فبقدر الجلال يكون الجمال فترى صاحب عين الشـــريعة يصدق كل قول ويعده صــحيحاً ويســتغرب مدركه حيث كان في المقام الأدنى ويشير بعبارته لمقام من فوقه فترجع الشـــرائع عنده شريعة واحدة والأنبياءُ ذاتاً واحدة يجمعهم مقام الدلالة على المولى جل وعلا وتصــير عنده الطرق طريقة واحدة لتوصـيل كل طريقة إلى الحضـرة القدسـية ويرى الشـيوخ كلها ذاتاً واحدة لقيامهم بالدلالة على الحبيب جل وعلا ســبحانه ما أجله وأعلاه وأظهره وأخفاه ويرى المومنين الموحدين من آدم إليه ملةً واحدةً ويصـــور كورة العالم بمنزلة ذات واحدة موجهة لســيادة مولاها ذليلة خاشــعة مطمئنة مرتعدة خائفة عابدة متبرئة من الحظوظ الجوهرية معترفة بالمملوكية راضية بصواعق سيوف الأقدار المالكية فيتحرك بتحرك الكورة ويعبد معها موصوفاً بذلتها فينصبغ بانصباغ عبوديتها فيصار شعرة من شعراتها فيحصل له فضل جماعة شعراتها لمقام التعاون فيفاض عليه في كل رعدة فيوض سائر أخواتها من أعضاء الكورة لأن الكورة بمنزلة ذات رجل مركبة من أجزاء متوقف بعضــها على بعض فكل جزء يمد جميع الكل ويفاض على الجزء ثواب الكل لمقام التعاون مع قصد الجزء ذلك ((**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل**

امرء ما نوى))[31] فإذا فهمته علمت أن بركة العارف ممدة لسائر الأكوان وأن الأكوان كلها ممدة له للأخوة في التعاون على التعلق بالربوبية وأما الجاهل بهذا فلا أخوة مع الكورة ولا معاونة بحسب نيته فلا حظّ في ثواب الكورة جزءاً وكلاً فإذا تمحضت لمولاك يمدك الوجود كله وتمده ويعطى لك مثل هذا فإن نويت النيابة عنه في تحمل الزلازل الجلالية تعطى ثواب من أسقط فرض كفاية عن ذرات الوجود وتحظى بمحبتك أهل عبوديته ويتوجك بتيجان رؤوس أهل مملكته فترزق عز السيادة الإمدادية فاعلم أن العبد ليس من شأنه الطلب بباطنه إنما شأنه التضرع بظاهره معولاً على خزائن سيده مستسلماً لأمره فإذا طلب يقول لسان سيده أقبل على شأنك فإنك بمرءا مني فلا تحتاج لإرشاد لحوائجك فاشتغل بما طلب منك من الخدمة والأدب فإنما أنت آلة للخدمة لا غير فلا يغرنك أن تعاميت عليك في حال الإساءة وفي حال العجز والكسل فمقصودي فيك أن تفني أوقاتك بالخدمة التي ملكت لها وليس من شأنك أن تباسط السيد ولا أن تلبس إزاره ورداءه من أوصاف السيادة فإن أقبلت على شأنك تصلك نفقتك التي ضمنتها السيادة يوم ملكت وأقبلك ولا أبالي بعد أن قربتك

[31] الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الرقم: 1.

بعمل بل أعظمك من بين المالك فيعظم أمرك عندي وشأن العبد أن لا يحوج سيده إلى أن يقول له افعل كذا لأنه عرف خدمته يوم ملك ففي وقت الحرث يهيئ للحرث بلا أمر لأنه أذن له فيه بالملك وكذلك بقية الأسباب وينسب حوائج سيده لنفسه ممتلئاً قلبه بسيده وخزائنه من غير تعويل على الخزائن لأنه لا حظّ له فيها إلا بالملك فيمتلئ قلبه بمحبة سيده ولا ينسب الكمال إلا له لأنه مالكه ولا يرى فضلاً لأحد عليه إلا من حيث الوساطة من سيده فيعظمها جريا على الأدب مع سيده الذي أرسله له فيغضب بغضب سيده ويفرح بفرحه ويحب كل من نسب لسيده ولو ريحه وبلده وكلبه فتجده يعظم كلب سيده وينسبه لنفسه ويغار لكلب سيده فلا يتركه لأحد ولو الموت عليه لأن من أهمل كلب سيده فقد أهمل شأن سيده ومن جملة الشئون جميع ما نسب له فيعد كل من يعظمه من صاحب بمنزلة سيده لسيده ولا يرى كلب سيده إلا بعين الإجلال والمحبة فيفنى في حسن كلب سيده مضربا عن خلقته ولو مشوهة بل يستحسن كلّ ما ثبت لسيده فيمتثل أوامر سيده بحيث لا يشتغل ببشريته ولو كان مرجوماً ببول أو غيره حتى يرضى سيده وأشار له بالراحة تصريحاً أو تلويحاً يفهم أمر سيده لأنه فانٍ في سيادته فلا يرى عزاً لنفسه خارجاً عن خدمة سيده بل عزه محصور في نسبته لسيده العظيم

الشـــأن فيشـــرف بطاعته ويتجنب البطالة فإنها ســـبب المقت والإهمال فيزين العبد نفســـه بالنظافة ويجمل هيئته بنعمة ســـيده التي أفيضت عليه منه فإنه يحب أن يراها عليه حال المشاهدة ولا يهمل نفسه بالمقت بالتقشف مع فيض مدد سيده عليه فإنه سم فإنه يظهر إضاعة سيده له ولا يشتكي لأحد ولو ضيقت طرق النفقة بل ولو تتابعت عليه مقامع سيده بالنكال بل يصبر ويعرف أنه شـــأن العبيد ولا ينزل حاجته على أحد لأنه لا حاجة له وإنما حاجته حاجة سيده فليترك لسان المملوكية يتكلم مع حضرة إمداد سيده فإنه مقبول بالإحسان والإفضال ولا يطمئن بحالة ألبسها بل يخاف من ســـيده من أن يعريه من العمل بحيث ينزعه من عمل الخدمة ويولي غيره أو يجرده عن عزه الذي له الســـيادة بســـيده فيخاف أن يخرجه عنه ويطرده فهذا أدبه فمن قدم أمر نفســـه على أمر سيده فقد أخســـر الميزان وذلك قلب القضية وقلب البرادة[32] معناها أنه عمل برادة ســـيده فوجد ماءً وأراد أن يســـقيها فقلبها للأرض فإنه لا يملؤها ولو بقي مائة ألف عام لأنه عكس القضـــية فلو أحسن وجهتها على السقي سقاها نفساً واحداً فكل من عظم أمر نفســـه وأهمل أمر ســـيده بحيث جعل أمر نفســـه مقصـــوداً

---

[32] البرادة: إناءٌ مِنَ الطِّينِ الأحْمَرِ على شَكْلِ إبْريقٍ لَكِنَّهُ أَضْخَمُ.

بالذات وأمر سـيده أمراً زائداً ثقيلاً عليه يعمله بكلفة وأمره سـهلاً حلواً ولو بمشـقة فيكون حاذقاً في طرق نفسـه جاهلاً بأحكام سـيده متراخياً فيها متعذراً بالجهل وأنه مشغول بنفسه فذلك دليل على انطماس البصيرة منه وعلامته أنه إن اشتغل بذكر سيده يثقل عليه وينام ويكسل وإن اشتغل بنفسه نشط ولو بقي الليالي ذوات العدد لا يغلبه النوم وذلك لأنه عاشـق في حظ نفسـه فانياً فيها من دنيا وآخرة ولهو وقيل وقال والعاشـق راحته المعشـوق فلا يهتم إلا بأمره ولا يمتلئ قلبه إلا به فإذا ذكر سـيده الغير المعشـوق ثقل وتمرض وتعجز فصار سيده الذي يعبده هواه وأمر سيده مطروحا عنده وهو عين الحجاب والحجاب بينه وبين سـيده بعد النسبة لا غير وهو أنه عكس القضية فلو بقي عليها عمر الدنيا ما عرف نقطة مـاءٍ والمـاءُ فـائض على وجـه الأرض دائمـاً فلو ألقى لمربٍ عـارف كيفية الغرف من الصـفاءِ لاغترف سـاعة وروى فعليك بتعظيم أمر سـيدك من صـلاة وذكر وبجعل نفسـك في يد سـيدك فإن ردك إليها وأذن لك في قضـاء حاجة نفسك فامتثل بالفور ثم توجه لنحو سـيدك فإذا سـمعت نداءَ سـيدك وهو المؤذن فافزع وغب عن أمرك كلـه ولو جـائعاً كنت فإن الحاكم الذي يحكم عليك إذا أمرك بالإتيان إليه في سـاعة معينة لا يقبل منك قبلها ولا بعدها فيقول لـك إن كنـتُ الآمر فـاقـدم في الوقـت الذي عينته وإن كان الأمر

أمرك فتربص فعن قريب يحل البلاءُ ﴿**سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ**﴾[33] فالعبد إذا أمره سيده فامتثل ظاهراً وباطناً فرحاً حيث استعمله سيده وعمل العمل المتقن الذي يدور له الفلك بسهمه وحرث مثلا حرثاً متقناً وزرع زرعاً جيداً في بلدة طيبة ونقاه من شوك العلل النفسية وحصده ودرسه وذراه ونقاه تنقية أخرى من الحجارة وطحنه طحناً متقناً وغربله عملا محكماً وعجنه عجناً محكماً وطبخه طبخاً محكماً يدور له الفلك بغلة عمله وهو ذوق سر عمله مع رضى سيده وإن أمره سيده وثقل عليه العمل وعمل عملا بالخيانة وغش فيه ويرد باطنه كلاماً على سيده فينسب سيده للظلم ويخاصم باطناً ولم يزرع بذراً متقناً وإن زرع أهمل تنقيته وإن نقى فرط في جمعه ودرسه وتذريته فإنه مستوجب عقوبة سيده ولا غلة له بل حظه العقاب من سيده فهذا شر الممالك فافهم ترشد فإذا فهمت علمت قوله جل علاه في بساط الظهور ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ**﴾[34] وأما بساط الحكمة الإلهية ما خلقتك لأن تريد وإنما خلقتك لأظهر فيك آثار قدرتي واعلم أن الإرادة والتعرض بالأعمال من أكبر العوائق على الحضرة ثم إنه جل

---

[33] (31) سورة الرحمن.

[34] (56 و57) سورة الذاريات.

وعلا خلق إمام المتقين صلى الله عليه وسلم قائداً لحضرة الله وخلق إماماً للضالين قائداً لحضرة غضب الله فكل منهما يدل ويرشد إلى وصفي كرمه وانتقامه جل وعلا فالنبي يبين الطريق لأهل البصائر مجردة من الإرادة ويمني على لسان الله أهل الغفلة لسياسة الرجوع من غفلة الحظوظ فرجع البعض من سِنة غفلة المعاصي وسكر الغفلة الحظ الأخروي أو الدنيوي فسكر البعض السكر الذي يخفى إلا عن العارفين فيبقى في غفلة السكر النجس المحرم في دخول حضرة الصلاة وحضرة الله تعالى و ﴿**لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى**﴾[35] وأعظم السكر الخفي وهو سكر المقاصد بحيث يعبد لنفسه لا لربه فيجب عليك أن تتجرد من هذه الداهية الخفية ليصح الدخول في الصلاة صلاة المقربين وإبليس يدل بخيله ورجله[36] ووسوسته ومعه لا يقطعه بقوة بل بوسوسة لا غير فليس لإمام المتقين أن يدخل إيمانا في قلب أحد إكراهاً وليس لإمام أهل الحظوظ أن يدخل الشقاوة في قلب أحد بل الفاعل

---

[35] (43) سورة النساء.

[36] ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا**﴾ (64) سورة الإسراء. ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال إبليس، والرجل: جمع راجل، كما التجر: جمع تاجر، والصحب: جمع صاحب. تفسير الطبري.

المختار جل وعلا واحد في الحضـــرات كلها فمن امتلأ قلبه بالله يسـقه إمام المتقين له ومن امتلأ قلبه بحظوظ يسـقه إمام الأشقياء للشـقاوة فنأمرك أيها المشفق على نفسه بالتأمل بالعقل الإيماني فإنه يتبين لك أن ما كان عليه عباد الحظوظ الدنيوية والأخروية رجس من عمل الشـيطان لأنه سـبب غضـبه وأفرغ قلبك من كل غير وغيرية وكن عبداً حراً من رق الأغيار مقصـــوراً على ما خلقت له من عدم القصـد والإرادة تكن عبد ربك إضـافة محضـة مكتسـبة التعريف وإلا تكن مضـافاً لفظياً ولا تفيدك إضـافتك للحق إلا أنك عبـد القهر لا عبـد الرضـــى فـاعلم أن الطريقـة عنـدهم تتبع أقوال وأفعال وأحوال وعوائد وأخلاق إمام المتقين صـلى الله عليه وسـلم فهي الطريقة الحقيقية النافعة المســـتقيمة فتتبع أقواله وأفعاله فقط هو الشـــــريعة العمومية فأحواله صـلى الله عليه وسـلم مبنية على صـــرف العبودية من غير إرادة أرأيت هل كان يريد أن يكون نبياً في الأزل وقـد كـان نبياً في الأزل أوان الإرادة وهـل كـان يريـد أن يكون أفضـــل عامة الخلق فيه وقد كان فيه قبل وجوده وهل أراد أن يكون أعلم الخلق فيـه قبـل ظهوره كـل ذلـك مفاض عليـه من بحر الفضل قبل ظهور أوان الإرادة فاعلم أن الله جل جلاله منفرد في ذاته وصـفاته وأفعاله فهو الكنه السـاذج الصـرف المتجرد عن كـل مـا يـدركـه العـالمون فهو القديم وغيره حادث أحدثه كيف أراد

وأحدثه مع الزمان والمكان والأعراض فهو الحق جل وعلا وغيره مثل ظل غير ثابت كجرم في الضحوة وله المثل الأعلى والدليل وما يدرك من المدلول حادث أحدثه معه فلم يكن من يتحرك ويسكن ولا من يعرف جلاله فأحب جل جلاله أن يظهر وصفي كرمه الإحسان لأحبابه والانتقام في أعدائه وسبق في علمه جل وعلا أن يظهر أولا فاتحة الوجود وخاتمته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأظهر بفضله بلا سبب تقدم نوره وأدرج فيه نور حبيبه إدراج الظل الخيالي الذي لا يتصف بظلمة ولا نور ولا باتّصال ولا بانفصال ولا بوجود ولا عدم فقواه بنوره المكنون وسقاه جل وعلا بما شاءَ كيف شاءَ فانصبغت نورانيته صلى الله عليه وسلم وتميزت فسقي بما شاءَ الله بلا سبب ولا إرادة حظ فتعالى جل وعلا عن الأغراض والتوقف عن الأسباب والوسائط فسبحان من قهرنا بالظل فلا تعرف ماهيته ثم تنزلت نورانيته صلى الله عليه وسلم فانصبغت صبغاً لطيفاً تميزت فصارت محمدية فتميز بحر الألوهية من بحر الخليقة وهو عين المحمدية فلا يبغي بحر الألوهية عن بحر الخليقة ولا العكس بحسب ما تعلقت به إرادته لا بحسب ما يدرك ويكيف فبحر الألوهية التي هي عين أم بحور الأسماء الحسنى يمد ويسقي بحر الخليقة الذي هو عين النبي المكرم المطلسم قدره لكل عارف أياً كان فامتزجت

مدادية بحور الأسماء التي هي الأفعال في كنه نوره صلى الله عليه وسـلم وآله فتنزلت حجابيته صـلى الله عليه وسـلم بقهر إلهي بلا إرادة ولا تعرض فانبسـطت واتسـعت وأشـرقت إشـراق الظلية المخلوقية فكل ما وصلت ظليته فهو قاب قوسية حد ملك مولاه فيه فهو صـلى الله عليه وسـلم ملك الله مظهر أسـمائه وصـفاته فانغمسـت ظليته صـلى الله عليه وسـلم في بحر رحمة الإيجاد والإمـداد فتكونـت روحـه الشـريفـة من بين الرحمتين فهي أول الظهور من حضـرة الطمس فسقاها جل وعلا بما شاء الله قدر ما شاءه فأوقفها بين يديه جل وعلا تقبل وتدبر في حضـرة الجلال والجمـال فعرقـت بمـا دهمها من الجلال وثبتـت بما غشـيها من الجمال فسـقطت نقطة عرق مناسـبة لجرمية روحانيته صـلى الله عليه وسـلم على كيفية لا يدركها العارفون فهوت في هواء ملكوتيته جل وعلا فتلقتها رياح الأسـماء وذرتها نشـئاً وابلا فأمطرت مطر الرحمة وهو أول مطر فانجمعت أودية بحار قدرة الحق جل وعلا فصـارت بحراً مشـتملاً على ذرات وأعراض وأخلاق ولوازم ما يكون إلى مـا لا نهـايـة له من أزمنة الدهر الآخرة والأزمنة والأمكنة والجوهرية والعرضـية وجميع ما يسـمى ملك الله فانزرعت الأكوان من مائيته صلى الله عليه وسلم ووصـل ما وصل وفصل ما فصل واتحدت الانفعالات واسـتوت في أصـل الظهور باعتبار الفاعل

وتخالفت أجناس المظاهر المنبعثة المكنونة من الحضـرة المحمدية فهو عين الأحمدية التي هي عين الكنه فعل جل جلاله هذا ترتيباً لملكه لا غير من غير داعية فتكونت الأكوان كلها من كونية ماء نقطة عرقيته صلى الله عليه وسلم فصار أصلاً أصيلا لكل عدم مظهر مظهر بتأثير أسـمائه جل وعلا وصـار منبتاً لمراد الله في ملكه وانحجبت عن الخلائق كلهم حجابيته ووسـاطته وأصـليته فصـارت ألفاظ العارفين تومئ إليها من وراء سـجف الحجب النورانية فخلقت العوالم من سماءٍ وأرض وبحر وسائر عوالم الحق المتوالية لسمائها وغيره فصار صلى الله عليه وسلم روحاً للوجود ومفتاحاً له وخاتماً بحيث لم يتقدم له ظهور ولم يتأخر عنه ظهور بل ما ظهر وما بطن إنما ظهر فيه وبطن فيه فصار صلى الله عليه وسـلم هو الكون الأمر الإلهي فهو المخاطب فهو الواصـل وغيره منفصل بحجابيته صلى الله عليه وسلم مدرجاً في نوره بين يدي مولاه فغاية ما يدركه العارف ولو سيدنا إسـرافيل إن حصـل له الأنس بسـيده جل وعلا في وسط وعائه صلى الله عليه وسلم فتنبعث له جيوش الجلال في مظليته صلى الله عليه وسلم فكل ذلك بتقدير الحكيم بلا سـبب ولا داعية ولا غرض فخلقت الملائكة وجعلت سهم الرحمة لا حظّ للغضب فيها ما عدا الثقلين الإنس والجن فلما عزل الحق جل وعلا إبليس بحسب ما أشـرنا

له آنفاً وولى صفيه أبا أصل الوجود طينا آدم عليه السلام وخلق من ضلعه زوجته حواءَ فجعلها لبناتها عادة فما من زوجة إلا وقد خلقت من ضلع زوجها آنس سيدنا آدم بها في الجنة المقامة للعدل والخلود فأصدقها الصلاة على ولده طيناً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بوحي إلهي فجعل الله جوهرة الوجود باكورته قبلة سيدنا آدم به يهتدى وبنوره يقتدى وبه يعبد ربه وبه يفصّل أحكام الله وكان آدم قبلة الخلائق فبه يستضيئون وأمره الحق أن لا يغفل عن الواسطة فإن غفل ساعة تجر عليه المقادير بغفلته عن قبلته وإن ثبت بحضرة ربه ترتيباً لملكه فكانت نعم الجنة لطافاً لا تضر ولا تصدع ولا تسهل ولا تفجر دماً ولا قيحاً وأنبت فيها الحق شجرة غليظة تاريخ أربعين عاماً قبل وجوده فعرضها الحق جل وعلا مقدرة بغفلته عن الوساطة فلما وسوسته سيدتنا زوجته بوسوسة اللعين جالت قوته في الاجتهاد ذاهلا عن الواسطة الممدة له فعام بنفسه في بحور الأوامر ولم يجد نهياً مصرحاً به عن حرمة الشجرة مساعداً حرمة المومنة زوجته فخفيت عنه اللوازم التي تكفل بها الشيخ المربي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأكل الشجرة بعد أن قرر له الحق جل وعلا أنها مسهلة وليست من جنس نعم الجنة وإنما نبتت قرب خلقه فلما أكلها مساعداً زوجته المساعدة اللعين الذي غرها بالقسم بالله فخفي عنها أن لا

يكون في طوق أحد أن يتجرأ باليمين الكاذبة لقوة إيمانها وأهبلها حزمها بجلال الله وأنه لا يطيق أحد أن يحلف بالكذب فصدقته فلما مضى الأكل منهما ضحك إبليس عليهما فلعن إبليس فسرت قوة الشجرة الإسهالية في عروقهما قبل إيناس بدنهما بالإسهال فحصل إسهال منهما ووجع عظيم كوجع الولادة فتوجع آدم فأراد أن يقضي حاجته فهربت منه الجنة بنعيمها وثيابها لأنها حضرة القدس لا تصلح للقاذورات الشجرية فلما تبرأت منهما نعيم الجنة وعظم الأمر سمي ﴿**وَعَصَى آدَمُ**﴾[37] بخفاء اللوازم التي هي أن من أكل الشجرة الغليظة يخرج من الجنة بسبب القاذورات وأن من أكل النعم اللطاف يبقى في الجنة لأنه لا وجود لسبب خروجه فأخرجهما الحق إلى حضرة الدنيا التي تسع الإسهال ففرق بينهما حين الهبوط لتقع الألفة وينسى آدم وسوسة حواء له فتخف المصيبة بطلب بعضهما بعضاً فلما التأما نسيا شجرة الخروج شفقة عليهما فدله الله على الحرف الفلاحية وغيرها وتحمل المشاق فاجتباه الله بفضله ولعن إبليس بعدله وجعل الله سيدنا آدم أول خلفائه في الأرض والسماءِ فجمع له بين النبوة والرسالة والخلافة العظمى عنه في كل أمر فولد له ولد كثير مع حواء فمات فقرّت

---

[37] (121) سورة طه.

الخلافة في ولده شـــئث ثم إدريس ثم نوح وفي زمن نوح كفر من كفر بتبديل الأحكام الشـرعية وجحد وأبى النسـخ وأن الله يفعل ما يشـاءُ فاشـتد الكفر سـتمائة سنة فأهلكهم الله بالطوفان ثم ولد لنوح أولاده وهي الباقية لا غير ثم إن كل نبي تقدم ورسول تنقطع شـريعته بموته ولم تعم شـريعة أحد بل خاصـة بما قصـه الله لنبيه فولد سيدنا إسماعيل بن إبراهيم العرب وإسحاق بني الأصفر وبني إسراءيل وكثرت النبوة في بني إسراءيل تبكيتاً عليهم ونكالا وبقيت العرب في غفلة الفترة من شـريعة إسـماعيل وبقيت فوضى لا نبي لهم من زمـانـه إلا مـا كـان في بعض القرى مـدين ونواحيها وثمود ونواحيها وعاد ونواحيها قد خصـصـها الله بالنبوة الخاصـة فانقطعت النبوة بعده بموت صـــاحبها لأنه ما من نبي إلا وانقطعت النبوءَة بعده بمجرد الموت ولم يتوجه للعرب نبوة بني إســـراءيل ولا بني الأصـفر لأن صـاحبها كلف بقوم مخصـوصـين إلى زمن مخصـوص ولم تكلف العرب من زمن إسـماعيل إلى بعثة نبينا صـلى الله عليه وسـلم تكليف أصـول من العقائد ولا تكليف فروع من القواعد بل هم سـهم الرحمة بجنسـية أصـل الوجود صـلى الله عليه وسـلم وغطاهم الله بفضـله ببركة نبي يظهر فيها فإذا ظهر أيس الشـيطان من كفرهـا كمـا أيس من شـــقـاوتها قبل ظهوره لأنهم غير مكلفين وعليـه فمن مـات قبـل البعثـة أو بعـدهـا من قبـل أن يظهر لـه في

باطنه حجة البعثة مات على الفطرة الإسلامية وإن كان يحارب لأنه غير جاحد والكفر الجحود وإن أشرك في عبادته فهو خفيف في حقهم لأنه لا تكليف إلا بالعقل ولا عقل إلا بالشرع فبحر الشريعة الربانية هو الذي يمد البواطن فيسمى نور الشريعة عقل تكليف فمن كان يقتل أولاده ويدفن بناته حيات ويستحلّ الزنى في الأمهات والبنات ويستحل إراقة الدماء فهل يسمى عاقلا ومنه تعرف أنه لا عقل لأحد إلا بما أفيض عليه من حضرة الشرع ولا شرع في زمن العرب فمن تبينت له الحجة البالغة في أمر النبوة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجحد بعده فهو الكافر والجاحد فإن استند في زعمه إلى كتاب انقطعت أحكامه بموت صاحبه يسمى كتابياً كافراً جاحداً ولاية سيده حيث جحد عزل صاحب كتابه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أصل الوسائل كلها فقد ادّعى أنه يحجر الله تعالى عنه علواً كبيراً حيث لا يعزل من أراد ويولي من أراد وقد أراد أنه عزل كل نبي بموته وقرر شريعته بنبي بعده إلى سيد الكل فإنه جل وعلا عمم رسالته في سائر أجناس مملكته تكليفاً للثقلين وتشريفاً لغيرهما ما دامت أيام الدنيا والآخرة وإن انقطع التكليف بالموت فلا يظهر بعد الموت إلا بحور أنوار الشريعة ونتائجها وعليه فكل من أسلم وحسن إسلامه لا ينبغي أن ينسب للكفر لأنه لم يكفر ومن تبين له وجه الحق

وجحد وإن أسلم ينافق يعد كافراً جاحداً متمرداً فالصحابة لم يكن فيهم كافر من سيدنا إبراهيم إليهم فافهم وسلّم تسلم وإذا كانت أجداد الصحابة من العرب كذلك وأحرى نسب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو أفضل الأنساب وأفضل القبائل والشعوب والأحياء فنسبه القطبانية الخلافة وحواشي نسبه الشريف الأمراءُ والأبدال[38] وأرحامه من الأمهات والجدات والمرضعات والأخوات من الرضاعة صديقات من كبار أهل التصريف وهي مرتبة دون القطبانية وفوق الولاية فحفظ الله لله الحمد نسب إسماعيل من رجس الكفر ببركة سراية القطبانية فيه فمن كان من أهل الكتاب قبل ظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإن اتّبع نبيه فهو مسلم وإن جحد نبوته بعد وضوع الحجة فهو كافر وبعد عيسى عليه السلام انقطعت رسوم التكليف عندهم بالرفع بين أظهرهم وكفر من تعمد قتله من الطائفة اليهودية ونجا الباقي فعم أهل الفترة العيسوية سهم الرحمة إلى بروز

---

[38] قال ﷺ: ((**لا يزالُ أربعون رجلًا من أمَّتي قلوبُهم على قلبِ إبراهيمَ، يدفعُ اللهُ بهم عن أهلِ الأرضِ، يُقالُ لهم: الأبدالُ**، ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ: **إنَّهم لم يُدرِكوها بصلاةٍ ولا بصومٍ ولا بصدقةٍ**، قال: يا رسولَ اللهِ! فبِم أدركوها؟ قال: **بالسَّخاءِ والنَّصيحةِ للمسلمين**)).

الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 190/4.

صاحب الشرائع كلها فمن تبعه منهم فهو مومن ومن جحد فهو كافر فلا يعذر واحد منهم بالجهل لأنها تبينت لهم في كتبهم القديمة وإنما حرفها سفهاؤهم بسبب الطمع وذلك شأن الطمع وأهله وأهل الرياسة فلما أينعت بساتين الصحابة الأجلة جاهدوا في الله حق جهاده فعاش من بعدهم في بركتهم إلى يوم القيامة وإنما أطلنا النفس وإن كان مستطرداً تنبيهاً على دائرة الفضل الكنزية المكتومة وهي أن الله جل وعلا فعل ما فعل بلا سبب ولا عمل ولا قصد بعمل ولا مجاهدة بل شئون الحق برزت من بحر فضله على أيدي أسمائه جل وعلا فيجب عليك أن تعول على فضله لا على عملك لأنه هو الفاعل له لا أنت وإلا أتعبت نفسك بلا طائل فإذا عرفته علمت أن مقصودنا أن تسلك الطريقة الأولى التي كان عليها صاحب الشرع وأصحابه فاعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد الناس في غفلة وإشراك وقتل بنات وأولاد وزنى واستحلال الدماء وغيرها فنبههم بالسياسة الربانية فساسهم وراضهم حتى ارتاضوا بأنواره وحكمته وبقوة عقله المكتسب من الشريعة حتى أحبوه وتركوا ما كانوا عليه وتجنبوا في محبته ما نهاهم عنه وفضلوه على نفوسهم وأولادهم وأموالهم فامتلأت قلوبهم بمحبته التي هي عين محبة الله فلم يكن لهم تعرض لغير امتثال أوامره واجتناب مناهيه ولم يكن تقدم لهم ذكر جنة ولا نار ولا ولاية ولا كشف

ولا ســـر ولا مراقبة ولا مشــاهدة ولا معاينة ولا حالة من أحوال الســالكين بل فجأهم الحق على يد النبي صــلى الله عليه وســلم وصـدقوا برسـالته ممتثلين له مذعنين فانين عن أنفســهم تاركين ما كانوا عليه ببركته فتعلموا الشـريعة من أكل وشـرب وجماع وحركة وسـكون فلا يعد أحد منهم نفســه عالماً كيفية اســتبراء البول حتى يتعلمها منه ولا ما دونها وفوقها من المعاملات العباديات والعاديات والعقود فسـلموا أنفســهم له وتركوا عقولهم معه ولذلك يسـألهم عن أي شـيءٍ من الأيام والشـهور فيقولون الله ورسـوله أعلم ولم يكن فيهم من يدعي معرفة شيءٍ قليل فاشتغلوا برضى رسول الله صلى الله عليه وسـلم وتجنبوا مسـاخطه فهذا دأبهم ولم يقصـدوا سـلوكاً ولا وصــولا وتجردوا من رذيلة الحظوظ النفســية وصــمموا على كتاب الله مفسـراً بإشـارة النبي صلى الله عليه وسـلم لا بإشـارتهم فلما تحقق الله يقينهم أزال الله الحجاب لكثير من الصــحابة حتى اتضح له ما قرره صاحب الوحي فلم يزده ما شاهده معاينة على ما عنده من صـريح كتاب الله وعرف كل واحد منهم أنه ببركة متابعة حدود النبي صــلى الله عليه وســلم فلم يزدهم ذلك إلا متابعة واتصــالاً بالنبي صــلى الله عليه وســلم فثبت أمرهم ورســخت أقدامهم وتفجرت بحور صــفائهم من غير تعريج على شــيءٍ غير المتابعة فلم يكن فيهم مجذوب ســاقط التكليف لأنهم كاملون

مكملون مهتدون هادون واستقرت بحور الشريعة فأمدت قلوبهم حتى إن أحداً لو بقي يملي أسرار الشريعة عمر الدنيا والآخرة ما نفذ عشر ما فهمه من إشارات وتصريحات وتقريرات وعوائد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وتقوّت أشباحهم وأرواحهم حتى إن أحداً منهم ليقاتل أهل جيلنا مثلا وحده وبعده لا ينسب شيئاً لنفسه فلا يقول فهمت ولا علمت ولا تلقيت من حضرة غير النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً بل ذلك كله عين الشريعة وإن فهموا ببواطنهم شيئاً يردونه لها فبقيت الشريعة محررة وبقي قصدهم محرراً مجرداً من الأغيار مضربين عما ظهر لهم من حقائق الشريعة فينسبون الحقائق للنبي صلى الله عليه وسلم وإن وقع لهم الفتح الأكبر وصرفهم الله في ملكه فلا يعدون أقطاباً وأفراداً أو نجباءَ وأولياءَ وأوتاداً فلا يراعونه ولا يخرجهم ذلك عن ثباتهم ولا ينطقون إلا بالرواية عن الشارع فبذلك سموا الصحابة دون غيرهم فإن الصاحب يشترط اتّباع المصحوب فيه والتابعون من القرن الثاني إنما صحبوا الصحابة لمشاهدة أفعالهم ومشافهة أقوالهم ولا حظّ لهم في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يشاهدوه ولم يتبعوه حق الاتّباع وهكذا للقرن الرابع فتابع التابعين لبس حلة التابعين والتابعي لبس حلة الصحابة والصاحب لبس حلة صاحب الشرع فشتان ما بين المقامات وإن كان المورد واحداً

لكن لما عبد القرون الثلاثة الله على وجه التجرد من كل حظ زائد عن التعلق بالربوبية بملازمة حد العبودية سموا قرون الفضل فلا يوازنهم غيرهم ممن بعدهم إلا إن سلك مسلك إخلاصهم بتوحيدهم ألسنة العبودية لحضرة الربوبية امتثالا ومحبة واستحقاقاً وغلبة فهذه هي الطريقة الفضلى الأولى الواضحة الفضلية الخفية السمحة الإبراهيمية الأحمدية المحمدية المستقيمة التي سلكها مَن ﴿**أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾[39] ثم إن ما ذكره لسان الشرائع من الفضائل والثواب والعقاب والخواص مما ينشط المقرب ما ذكره إلا لإيضاح ما أفاضه الحق بفضله على قلب نبيه إظهاراً لمرتبته ولخزائن أسرار ملك الله ولتفريج عيون الجادين بالله لا بالنعم فعظمت نعمة الله عليهم ولم تزلزلهم النعم عن إفراد الوجهة لمولاهم لتمكنهم في رسوخ الشريعة ومعرفتهم مقاصد الشارع فاعتبروا بالظواهر البواطن عالمين سر السجود الذي هو التذلل والإفراغ والوقوف بجميع أجزائه بين يدي مولاه عالمين منه أن لا فضل للفوق على السفل ولا العكس وإنما الفضل ما فضله الحق فسرى سر العبودية في بواطنهم ولم يضرهم ما سمعوا من جنة أو نار ولا قصور فاستلذوا

---

[39] (69) سورة النساء.

خطاب سـيدهم واجتهدوا في أمر العبودية فصـار فتحهم هجوميا بلا قصـد فلما تمالأت القلوب على الفتوحات الدنيوية بالجهاد الإسـلامي صـار الناس يجاهدون للأموال ولإظهار مرتبتهم لتكون لهم الكلمة السـلطانية أدبرت القلوب عن الله وأقبلت إلى شـهواتها فنزلت مصيبة على العلماء العارفين فاجتمعوا لاستنباط طريقة تمني الناس بالمراتب الكونية الأخروية السـرية الباطنية فاسـتنبطوها على وفق ما أملوه مبنية على الحظوظ قصـداً منهم لترقيق القلوب فبنوها على أهل الأحوال من الصـحابة فمن أراد أن يشـرب بعض أحوال سيدنا علي كرم الله وجهه فليفعل كذا فإن علياً يفعله وليذكر كذا فإنه يذكره وقس عليه بقية أهل الفتح من الصـحابة فلما ظهرت الطريقة على تلك النمط على أيدي كبار العلماء نهض أهل الجد والمحبة في الولاية الباطنية وتجاذبتها أيدي العارفين فشـرطت لهم الأيمة شـروطاً من حزم وسـهر وقلة الأكل وزهد في الولاية الظاهرة وصمت مستدلين لهم بنصوص الشـريعة التي تقدم لنا أنها تخاطب كل أحد فصـيروا لهم الفضـائل عين عروسـهم واجتهدوا وتصـدرت أيمة الحق لتربية الخلائق على وجه السـياسـة الشرعية الإيمانية ومقصـود الأيمة شـغل نفوسـهم بالفضـائل والخواص حتى يرق حجابهم بالجوع والسـهر والعزلة والمجاهدة فقسموا النفس إلى سـبع مواقف فنقلوا العابدين من مرتبة إلى مرتبة بالرياضة فإذا نقله

من مقام استقذر له ما دونه ويعده نجسا حتى يقطع ستة نفوس فإذا قطعها تبين له لوائح القرب من وراء الحجب الرقاق فيسأل شيخه عنها فإذا تحققها بين له شيخه أنه إنما تعبت نفسه فيما مضى من العبادة فالآن يستأنف العمل فيأمره بالانسلاخ من الإرادة والركون إلى غير مولاه ويطبق له عليه صريح نصوص الشريعة فيتجرد ويبقى مع ربه عبداً فانيا مع قطع النظر عن الغير خائفا من سلوكه فيعده معصية وينزل الكلفة التي تحملها من الغيرية ويسلم أمر الخلق كلهم لمولاهم ويشاهد عين الوحدة فإذا تحقق بمقام الفناء عن الغير يقول له طبيبه الآن قد أيقنت بسعادتك حيث لم تمت في سلوكك قبل الوصول فلو مت مت على غير أدب وعلى غير توحيد الوجهة فيوصيه أن يراعي حق الإخاء فيشتغل شيخه بغيره ويأمره بعد الثبات بنفع الخلائق بمثل سلوكه وسياسته من غير تبيين المقاصد في وسط المقامات حتى يوصله لكن شيخه يأمره أن يلازمه ليلا يموت على الحظوظ فإذا رآه قرب أجله يجرده بالهمة ويموت مجرداً منها هكذا شأنهم رضي الله عنهم فوصلت بها أقوام وضلت بها أقوام من المسيئين مع أساتذهم وكثرت الشيوخ وتفجرت بحور السلوك وفرح الدين بالقادمين من تيهاء الحظوظ بعد أفول شمس الكاملين فانتظمت سحائب أودية القلوب وأينعت النفوس وصارت أرواحا بعد تحكمها على الأرواح

واتضحت الطريقة الثانية بالأطباء الأجلاء فقاموا على ساق الجد في إيصال الواردين وقطعوا معهم مهامه عقبات العطب فجعلوا لهمتهم السيارة النافذة سر قوامهم وجعلوا ما في الدنيا من النعيم زاداً للمسافر وقطعوا النظر عن زخارف الدنيا ونزلوها منزلة الزاد للمسافر فالمقصود به سد الرمق لا غير للتقوي على ما هم عليه من السير فجدوا سيرهم مسنحين أنفسهم وأتباعهم سيوف العزم والأذكار فنصبوا عدوهم إبليس قدامهم ينظرونه بعين رؤوسهم فشغلوه وقطعوه بسيوف المجاهدة والمذاكرة أسرار الشريعة ولم ينصبوا أنفسهم في مقابلة عداوته لأنه إن فعلوا صار هو الشاغل لهم بل نزلوه منزلة الكلب العقور ينبح ويلهث ولم يلتفتوا لنباحه عالمين أنه يضبع من لا عقل له من المتهارجين معه بل تركوه وراءهم واجتهدوا بسيرهم حتى قطعوا ما يمكن أن يصله إبليس وجنوده وقال هيهات هيهات فلتم مني وهذا جهدي فيما كلفت به من الإغواء فلو كانت لي طاقة أو قوة لقطعتكم ولكن لم يجعل لي الله إلا حيلاً أغوي بها من كان على شفا الحظوظ ووجدت فيه زبالة نجاسة الغير والغيرية فالمريدون في حال سلوكهم وإن كانوا متلطخين بأنواع النجاسات الحظوظية لكنهم في كنف المجرد من الحظوظ يحمي بنوره أناساً كثيرة فلما أخذت السالكون راحة من اللعين وفرحوا ناداهم شيخهم فإن العدو الحقيقي هو ما بقي

قدامكم وأما اللعين إنما هو يكيد كيداً ضـعيفاً بالوسـاويس الواهية فـاعلموا أنكم دخلتم بلـد الهلاك والعطـب والقطع وكثرت الآن المحـاربون على دينكم وهم المراتـب الكونيـة من فتح وولايـة وكشـوف وأسـرار ورقائق وانقياد الروحانيين لكم فجدوا الآن وأخرجوا جميع ما عندكم من القوة وآلات المحاربة معها وزيدوا في مكينة همتكم زيتاً وفحماً وقدموا كل مدفع وصواعق للقتال فجعلهم أمام رحالهم في حيطته وسل سيف الغضب على من ركن للمراتب فجاءت جيوش الأسـرار لكل واحد من المريدين في كل جهة ظاهراً وباطناً فخاطبهم كبيرهم بالتجرد مما سـوى الله مانعاً لهم من كل سر حاملا عنهم أذاها بهمة العرفان فساسهم وراضهم بسياسة ورياضـة وصـبر لجفاهم بالركون لغير مولاهم فمن واصـل ومن هارب ومن مسـجون عند كبرهم فنصـب المواعظ والأدوية وتنزل للقتال عنهم فمنهم من قال ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾[40] ومنهم من امتثل وتجرد فوصل لحضرة السيادة ومنهم من بقي مع الكشـوفات وخرق العوائد والتصـريف بأنواع الأذكار فلا يزال الكبير ينافح عنهم حتى وجدهم بنوا معاقل الراحة وترفهوا بملك الروحانيين والانفعالات ولم يجد لهم سـبيلاً لتمكنهم تركهم

---

[40] (24) سورة المائدة.

على ما هم عليه وأدخل معه طائفة قليلة وهذا دأبه مع كل الأمة قانعاً بالعارف الواحد إذا وصله لأنه منزل منزلة كل الأمة فمن بقي مع مراتبه يدعي أنه من الكاملين فيعيش مع المكونات عيشاً رغداً ولم يشم رائحة المعرفة والرضوان يتصدر للمشيخة لما رآه على يده من الانفعالات والكشوفات فيضل السالكين ولذا كثرت المدعون للمشيخة وقلت العارفون لأنهم أحرار والحر قليل فاختلطت طرق البطالة بطريقة الصفاءِ ومن الناس من يستعمل الأذكار العظام التي يشترط فيها الإذن بلا إذن أو بإذن مع مخالفة الطبيب بما ظهر له من المجاهدة والمكابدة ففاضت عليه بحور الأسماء فسلب عقله فصار بهلولا لا عقل ولا تكليف وهذا مقصود للشيطان ولم تكن المجاذيب في الطريق الأولى أصلا بل هم مجردون من الإرادة وعبدوا الله حتى أتاهم اليقين فيستوي عندهم الفتح والحجاب مستسلمون لمولاهم فكثر الضالون المدعون الجذب الإلهي فكل من خرج عقله لدنيا أو موت قريب يدعى مجذوبا ولا زالت العارفون يحمون الطريقة الثانية بهممهم وأقوالهم حتى وصل من أراد الله أن يصل عليها وجردوا سيوف التذكير والتحريض على السلوك بها ليلا تنقطع العابدون على الوجه الأكمل فتقوم قيامة العامة وتنصب عليهم رزايا الجهل والاغترار وامتدت غصون الطريقة الثانية إلى حدود الخمسين عاماً من القرن العاشر

تمالأت الناس على الخواص والجداول والاســتخدامات التي رمتها ألسنة الشـــريعة وكثر العطب وتركوا من يرشدهم للطريقة وترأس كـل واحد ومنهم من دخل الخلوة بلا شــيخ أو بلا أدب لمخالفة شـروط شـيخه للأموال ليبني زاوية يجعلها شـبكة الدنيا يتمتع بها فحصـل له مراده بكثرة الظلام فاجتمع عليه السـفهاءُ وجمع أموالا تركها من ورائـه فراج إبليس في أولاده فزين لهم القتـال بينهم عليها لأنها مصيدة النجاسة وأزال صاحب الزاوية بعد أبيه جلباب الحياءِ وهتك الشـــــريعة ويجبر الناس على خدمته وإلا أهلكهم بدعوته فيأتي إبليس فيسـوق له كل غثاءٍ ليلا تنقطع طريقة الضـلال فكثر الخبث وتركت الصـلوات في أوقاتها وضـيعت أركانها حتى إن من يصـــليها ينقرها لأنه يصـــليها عادة آبائه لا غير ولا يجد حرمتها في قلبه لأنه متبع عادة آبائه لا غير وظهرت المرابطون المدعون طريق الخرقة فتنافسـوا تنافس الجعل[41] على النجاسة وانسدت المسالك وانغلقت الأبواب وبقيت العارفون يبكون على الدين في كل عصـر ولم يجدوا معيناً على نصـرة الدين وقطع البدع والشبه وحسم مادة الضـــلال التي هي عين الحظوظ فتبرأت الكـاملون من الدجاجلة فمالت الناس لهم وتركوا العارفين وصـــارت زاوية العارفين كالباطل

---

[41] الجُعَلُ: حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع النَّدِيَة.

وزاوية البطالين صحيحة مستقيمة فقال أبو مدين الغوث انقطعت الطريقة انقطاعاً كلياً ولم يبق إلا الرجوع إلى الله بهمة العارفين وحال من يدعي الطريقة الصريحة ما هو إلا مدع لا غير ولا حظّ له فيها ونهوا عن اتّباعهم وأمروا بطريقة العامة إن لم تكن الأولى ثم أخبروا بأن الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم تقوم مقام السلوك فأكثر البعض فوصل بها فتمالأت الناس عليها وكثر ستر الله على الأمة ببركتها إلى قيام الساعة فلله الحمد على دوام فضله وهذه فترة العارفين انقطعت طريقتهم إلى حدود السبعين من القرن الثاني عشر جدد الله من رد الطريقة الثانية إلى الأولى وحكم بأن من سلكها بعد لا يحصل إلا على التعب وطرزها بالنصوص القرآنية فتجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرج كأنه لم يمت وأفاض على صاحب الطريقة الأولى جميع علومه الظاهرة والباطنة وباطنة الباطن وهو العلم الثالث الذي اختص به وأفاضه على حامل الطريقة الأولى التي هي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يربيه ويبين له القربات بنفسه فعلم له كيفية الصلاة والتيمم والوضوء والغسل والسجود والركوع مشافهة يقظة لقوة سرايته فيه حتى قرر له صلى الله عليه وسلم جميع الشرائع وجميع الطرائق والأحوال ونزله من صفاء التربية منزلته في كل قول وفعل وأمر ونهي فمن أخذ عنه

فقد أخذ عن يد صـــاحب الوحي ومن امتثل أمره فقد امتثل أمره صـلى الله عليه وسـلم ومن خالفه فقد خالفه وضـمن له صـلى الله عليـه وســـلم كل من تبعه إلى قيام الســـاعة وأولادهم وأزواجهم وأنسابهم ووالديهم وسراريهم بلا حساب ولا عقاب فضمن له صلى الله عليه وسلم أن لا تنقطع طريقته إلى قيام السـاعة وأن يبقى فيها ســره صـلى الله عليه وســلم وأن لا تكون التربية بغيرها إلى قيام السـاعة فضـمنه كله وضـمن له أن يكون له واقفاً على رأسـه دائما وعلى رأس أتباعه بحيث لا تخطر بدعة في طريقه إلى قيام السـاعة وضـــمن له أن ينوب عنه صـــلى الله عليه عند المهالك والأمور العظام وأنه هو المربي صــاحب الطريقة وأنه مقدم له في إيصـــال مدده صلى الله عليه وسـلم فتصدر لها مبيناً وجهها مجرداً كل من قصـــده من نجاســـة الحظوظ وأفردت الوجهة لله الحمد في زمانه لمولاهم وظهرت أنواره صلى الله عليه وسـلم كزمان الصحابة لأنهم نهجوا طريقتهم واتضـــحت المقاصـــد وعبد الله على الوجه الأكمل فتميز الخبيث من الطيب فبرزت نصـــائح النبي صـــلى الله عليه وســـلم ووصــلت العرائس بلا قصــد بل بفضــل إلهي فتعطرت الأصـــقاع بترك كل مقصـــد مع الله عالمين بأنه هو الفاعل في الحضرات كلها فعرفوا الله وعرفوا وسائطه الفضلية وعرفوا بأن الله هو الظاهر هو الباطن في حضرة الوسـائط فعظموا وساطته صلى

الله عليه وسـلم على ما ينبغي من كونهم يحبونه لمحبة الله له ويمتثلون أمره لأنه خليفته ويصـلون عليه تعظيما لله ولخليفته فجعلوا أمره أمر الله وجعلوا شـيخهم خليفة عن الخليفة الأعظم صـلى الله عليه وسـلم فابتدروا لأمره وجعلوا أمره أمر الله لأنه خليفة خليفته كل ذلك سياسة لملكه جل وعلا من غير افتقار إلى واسـطة بل ذلك حكمه في الأزل وعرفوا النبي صـلى الله عليه وسلم لله وعرفوا شيخهم لله لا لحظ زائد لأنهم تبرءوا من الحظوظ أولا فلا حظ يبقى لهم مع ربهم ولا نبيهم ولا شـيخهم فصـحت الوجهة للحضرات كلها ونزلوا كل حضرة حضرة ربهم فإذا كانوا في حضرة نبيهم جزموا بنيابة عن الله لا غير وتجردوا من كل ما شغلهم عن ربهم وكذلك حضرة الشيخ فصفي المشـرب وهنؤ المساغ وفاض كوثر الإخلاص على الوجه الأكمل فذابت النفوس بنور الإخلاص إخلاص العارفين الذين قطعوا النظر عن غير مولاهم فتتابعت الفيوضات الإلهية النبوية الأحمدية واستـمرت وتكاثرت الواردات وامتدت ولم تجد الولاية والكشـوفات محلا يقبل غير ربهم فصارت الولاية تاجاً على رؤوسهم ولم يبالوا بها إلا على وجه امتثال أمر ربهم فهم غرقى في مرضاة ربهم فنزعت الحظوظ من بين أظهرهم وصـارت الطريقة طريقة المنعم عليهم في الفاتحة طريقة الفضلية وهي التي أرشد الحق في أول كتابه إليها ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ**

أَنعَمتَ عَلَيهِمۡ﴾[42] ولم يرشد لطريقة العمل لأن العمل أمر مكلف به جبراً والفضــل له جل وعلا فلما رفعت لله الحمد كلها للأولى وبقي العمل فيها على عمل الصحابة فما فعلوه هو الطريقة وما تركوه بدعة وإن كان مســتحســناً في الثانية لأن الثانية لا يحتج بها على الأولى بل الأولى حاكمة مستقيمـــة لأنها طريقة الصحابة والتابعين مجردة من العمل والخواص والتعرضات بالأعمال بل النية فيها لله ولرسوله والثانيـة في أول وهلـة الـدنيا وما يعقبها من الزخارف والجنة ((**إنما الأعمال بالنيات فمن كانت هجرته لله ولرســوله فهجرته إلى الله ولرسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**))[43] فهذا الكلام الشــريف منبع الطريقين الكلام الأول للأولى والثـاني للثانيـة لكن الثـانية في الأولى بالله لا بتعملهم فصـــار الـدين قويماً بعـد أن كثرت المدعون وانقطعت الدجاجلة بالأولى لأنهم لا يـدعون دعوى بـل هم عـائمون في بحر العبوديـة المحضـة جرد منها من يكلؤها إلى يوم القيامة لقوة أنفاس صـاحـب النبوة فيها حتى أن صاحبها الذي كلفه صاحب النبوة يصـرف همم الناس لها ما مات في حدود الثلاثين من القرن الثالث عشـر حتى ترك من أصــحابه عدد أصــحاب صــاحب الوحي مائة ألف وأربعة

---

[42] (7) سورة الفاتحة.

[43] الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الرقم: 1.

وعـشرين ألفاً كلهم شاهدوا طلعة وجه من خليفة صاحب الشـرع صـلى الله عليه وسـلم لأن هممهم في التوله به كالصـحابة لا غير حتى إن أحدهم لو أفيضـت عليه القطبانية العظمى لا يعرج عليها بل ينسـبها للنبي صـلى الله عليه وسـلم وهو خادم لحضـرته فصاحب الشـرع هو القطب والقطب الزماني نائب عنه وهو فان فيه فلا يقول برأيه إلا ما قاله له صاحب الوحي ولا يتصرف حتى يأذن له لأنه فانٍ في رؤيته فمنهم من لا تفارقه طلعته كأنه لم يمت صـلى الله عليه وسـلم ورتب صـلى الله عليه وسـلم منهم تلامذ وأصـحاباً وفقراء وعين لكل واحد أخاه من الصـحابة ديناً ومقاماً فمنهم من نزله منزلة أبي بكر ومنهم من نزله منزلة عمر ومنهم منزلة علي ومنهم منزلة عثمان إلى آخر طبقات الصحابة فمنهم من بشرهم بالجنة كالعشـرة ومنهم من بشـرهم كأهل بدر لا يضـرهم ما فعلوا ومنهم من قال أنت منا كسـلمان لمحبته ومنهم من قال له ((**أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا**))[44] كبلال ومنهم من تقضى الحوائج بذكره كعمران بن حصـين[45] ومنهم من صـلى عليه النبي

---

[44] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 86/3

[45] عمران بن حصين بن عبيد بن خلف صاحب رسول الله ﷺ أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في سنة سبع وله عدة أحاديث وولي قضاء البصرة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد

صلى الله عليه وسلم كأصحمة[46] ومنهم من سل سيفه كعلي ومنهم من قال فيه هو مدينة العلم إلى آخر مزايا الصحابة الكرام فرجع الدين لله الحمد كبدئه ((**بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً**))[47] وقد رجع ولله الحمد وغربته استغراب العقول أن تظهر الفيوضات في هذا الزمان كفيوضات الصحابة الأجلة وغربته في الصدر الأول ظهوره في ظلمة الجهل فكانت غرابة هذا الدين ونفاسته أمراً عجيباً يستعظم أمره كل من لم يطلع على سر الله فيه وأما من أطلعه الله على لمعان جوهرة صاحب الدين وذاق سره فلا يتعجب في أمر الدين في كل زمان فإذا علمت أن صاحب الشرع هو الذي اجتهد في نصرة الدين في كل زمان وإنما كثرت المدعون للمحبة والمجاهدة في الطريقة الثانية وادعوا الترقية بأنفسهم وهممهم حتى أعياهم ما هم عليه تركهم حتى قنعوا من الإرادة ولم يحصل لهم ما أملوه للكسل والفشل بالتنازع والدعاوى ثم قام بعده صلى الله عليه وسلم وبسم طريقته المستقيمة التي أرشد لها الحق في

بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم. توفي عمران رضي الله عنه سنة اثنتين وخمسين رضي الله عنه مسنده مئة وثمانون حديثا. سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي.

[46] **أن النبيَّ ﷺ صلى على أَصْحَمَةَ النجاشِيِّ، فكبر عليه أربعًا.**

الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 3879.

[47] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 145.

الفاتحة وبين مراسـمها وشـروطها وحدودها ونزل عليها للحفظ علي بن أبي طالب سـالاً سـيفه على من غير وكدر وجهها فيقصـم من حيث لا يدري فتنصب المصائب في ماله وبدنه ودينه حتى يرجع إلى أمر الله ويتوب من التغيير والتبديل فتغييرها بتخليطها بالثانية المســـتنبطة للحظوظ المراتب في أولها فكل من رأيته من أهل الأولى تغيرت حالته حتى في ملبســه فاقطع بأنه ربي بالدرة العلوية أو بالســـيف العلوي كما كانت الصـــحابة يربون بأقوالهم وأفعالهم بالقصاص والحدود والنبي صلى الله عليه وسلم كذلك فيمن أساء في هذه الطريقة النبوية وهو حارس ذمامها وحدودها ما دامت الأرض باقية للبقاء غير معرضـــة للفناء فتجد أهل هذه الطريقة ينفرون ممن يروم الدعوى ويقابلونه بعين الازدراء لأنه خرج عن العبودية وصـــارت جنة فرحهم من يذكر لهم العبودية ويرشـــد لها فكلهم شـــيوخ مربون بالفطرة النبوية حتى أن من دخلها ســـاعة مكانية تجده لبس حلة التبري من الدعوى مطبوعاً عليها بســـيف القهر فلا يقبل كلام من لا يحبها وينفر منه في أول أمره ولذلك لا يسـلمون كل ما خرج عن العبودية أياً كان فصمموا عليه لله الحمد بحيث لا يقبلون سـحر سـاحر ولا كهانة كاهن ولا حماقة لاعب وجاهل ولا فصـاحة خالب ولا نجامة ناجم ولا حسـاب حاسـب فتجدهم ينفرون بطباعهم السـالمة وينفّرون ممن شـأنه ذلك وعليه

فلا يكاد أحدهم يصـــدق الدجال إذا ظهر لما صـــمموا عليه من العبودية الصـرفة المفتقرة للسيادة المالكية في حضـرة الربوبية لأن صاحب الوحي ضمن لصاحب هذه الطريقة أن لا يتبعه أحد من المتمسكين بطريقته لما جبلوا عليه بالفطرة السليـــمة بإفراد الوجهة لنقطة الوحدة حضـــرة الألوهية ولا يمر الدجال في بلد أهل هذه الطريقة فيه لأنهم يسفهونه وينسبونه للتشيطن وهو يقول بالربوبية فتمالأت عليه أهل الطريقة بالتمرد فيخسأ في كل بلد فيه أهلها لله الحمد وكفى أهلها شرفاً حيث سلموا الملك كله لله وكل من خرج عن حد العبودية يتلاشى أمره عندهم فإنهم أنصار الدين كما كانت الصحابة أنصار الدين فتجدهم يأمرون بالمعروف والدين لإخلاص الوجهة لحضـرة الله جل وعلا وينهون عن المنكر في زمن الصحابة الكرام وهو الإرادة وطلـب الثواب عن الأعمـال والتعرض بـه لانفعـالات الأكوان فهـذا هو المنكر الغير المعروف في عهد القرون الثلاثـة فـاســـتقامـت الطريقة لله الحمد وزال نقاب محياها وقد تنقبت في زمن الصـــحابة وعرفت من وراء الحجاب لكثرة أنوار خطاب الشـــارع فلما انحجبت بالكلية إلا عن الأفراد بعد القرون الثلاثة عميت عنها البصائر فوقع ما كان حتى أزال صاحب الشرع بوســـاطـة خليفتـه المهيءِ للخلافـة عنـه في علم الغيب فأزال كل حجاب عنها فتبين حســـنها لكل عاقل وضـمن من الحضـــــرة

المصــــطفوية أن تـدخـل الأمـة كلهـا أو جلهـا فيها كما دخلت في الإسلام أفواجاً لوضوح أمرها ونور أهلها بين سائر الأجناس وشيد مناطها لأن أهلها إنما يسيرون بأرواحهم ويجتهدون بصفاء بواطنهم من الغير والغيرية مع بقائهم على رسـوم أحوال العامة من ملازمة ما يجب ويسـن ويندب بلا إفراط ولا تفريط وهي الطريقة الوسـطية ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾[48] ﴿**ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ**﴾[49] ((**خير الأمـة أولها وآخرها**))[50] ولا تكون الخيرية إلا بصفاء القلوب فكل ذي حرفة في حرفته وكل ذي سوق في سوقه وهو جوهرة المعـارف وينبوع الفضــــائـل والمكارم ولا يتنزلون عن أحوال العامة بظواهرهم وبواطنهم على إيمان إسـرافيل عليه السلام فإيمان إســرافيل وجبريل وبقية الملائكة أن الله طبعهم على معرفته وجرد ذواتهم الســـليمة من كل شـــهوة خارجة عن حضـــرة الحق فوجهوا كلية أجزائهم وأركانهم لحضـــــرة القدس على ســـــبيل القهر الإلهي فجردهم مولاهم من حظية الجنة والنار والحظوظ وصـــلح إيمانهم وتمت نتائجه وعمت فوائده فلذلك كانوا رســلا إلى صــفوة

---

[48] (110) سورة آل عمران.

[49] (39 و40) سورة الواقعة.

[50] الراوي: عروة بن رويم اللخمي | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم: 4078.

الخلق الأنبياء الذين من طبعهم ما خلقوا منه من الترابية الدنيوية والأخروية بحسب الأصل لكن منعهم مولاهم كل المنع من الميل إلى الترابية الأصلية فوجههم كل التوجه لغاية العبودية حتى فاقوا بالله إسرافيل وجبريل لجمعهم بين البشرية والملكية فأهل هذه الطريقة كلهم على إيمان إسرافيل المجرد عن كل ما يكدره من الحظوظ النفسية وإن رأيتهم على أخلاق العوام ظاهراً فهم لابسوا حلة شيخهم باطناً ((**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم**))[51] فقلوبهم ممتلئة بحلة شيخهم بحيث لو زلزلت زلازل القيامة وأهوالها وشروطها لا تجدهم إلا على مذهب شيخهم ولا يصدقون إلا على نهج العبودية وتجدهم يحبون ما أحبه الله من الظواهر في الأزمان فلا يتعرضون لحكم مولاهم بقلوبهم وإن كانوا ينطقون بلسانهم بالوقائع الزمنية فمرادهم بالنطق أن يرتبوا عليه الاعتراف بالحضرة وحدة الألوهية فتجدهم يتكلمون ويتبعون الأمر كله لله من غير تعرض لحمله بهممهم كأهل الإرادة في الثانية لأنه ينافي العبودية إلا إن تجلى الحق فيهم فيفعلون بالله لا بأنفسهم متبرئين منه جازمين بأن الله هو الظاهر هو الباطن في الحضرات كلها ولا يسمون أنفسهم بالبركة وإن كانوا نتيجة البركة

---

[51] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البيهقي | المصدر: الأسماء والصفات | الصفحة أو الرقم: 234/2.

فهم عينها في الحقيقة ولا يكتبون الطلاسم بنية التصريف ولا يظهرون بركة هممهم في المرضى بل يكلون أمرهم إلى الله الممرض ويتولون الدعاء له بالبواطن وربما يصرفون المريض لغيرهم مع أنهم دواؤه ليبرأ عن غير دعواهم فينسبون لبعض الخاصة منهم أو من غيرهم ولذلك لم تظهر إلا ثمرات الكونية فتجد الناس غير معتنين لزيارتهم لأنهم لا ينسبون الأحوال لهم بل لا حال ظاهراً لهم لأنهم ملكوا أحوالهم بمتابعة شيخهم حتى إن من ظهرت الأحوال عليه يقابله العارفون من الطريقة بالزجر لينزجر فيقولون له نحن نملك أحوالنا حتى البكاء نملكه بحيث لا تقطر قطرة من عين أحدهم في المجلس ليلا يشار إليه بالأصابع ((**خص بالبلاء من عرفه الناس**))[52] فمن أراد البكاء فليبك في خلوته مع مولاه لا في جلوته ولذلك تجد من غلب عليه الشوق لحضرة صاحب الشرع في وحدته فإذا دخل عليه غيره من أهل الطريقة أو غيرها يمسح عينه أو يتعمل بأنه يبكي لفقد كذا من الأحباب كالرزايا تستراً لحاله أو يتوجع وجعاً وهو سالم منه ويبالغون في ستر الفقر والسبحة وحال الطلب وحال الذكر وربما يقطع مجلس حضوره بداخل ليلا يتبين أمره ستراً لمراتبهم العلية وأما أهل

---

[52] أورده أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري في كتابه فيض القدير ونسب لفظه للديلمي.

الطريقة الثانية في حال سلوكهم يظهرون أحوالهم وبكاءهم في المجالس إما غلبة إن كانوا صادقين وإما يعتقد فيهم إن كانوا مراءين فأكبت الناس على تعظيمهم لما رأوا من ظواهر أحوالهم لأن العامة إنما يعتبرون الظواهر ولا ذوق لهم في البواطن فكل من ظهر أمره عند العامة ولم يكن مرشداً إما لكونه مملوك حاله وهو ضعيف الأولياء وإما لنجاسة مخبره لأن العامة لا يجتمعون إلا على من يناسبهم في الحظوظ بأن يقول لهم ببركتنا تلد أولاداً ويزيد مالك وتدرك الولاية وتكون في مالك بركتنا أو بركة أسلافنا فإن خدمتنا نحبك ونكفيك المخاوف ونخلصك من المضايق ونحوه فتجد العامة يعظمونهم ويبنون عليهم الأبنية بعد موتهم ومقصودهم الغرض الفاني بل حملتهم المحبة الحظية المنقطعة بانقطاع الحظ فتكثر عليهم الوفود جيلا بعد جيل فلو نبههم عارف عند ذلك بتصحيح الوجهة لله جل وعلا بأن الولي لا دخل له في ملك مولانا بل إنما تبع الكنانيش الإلهية فما نقشه الله تبعه من والاه الله لا كل أحد من الصالحين لأطبقت الأجيال على جهله لأنهما قرر لهم ذلك فالعهدة عليه فالولي إذا أحب أن يكون له صيت وأن يعظم جانبه بإظهار أثر التصريف الإلهي للبعض يسلب من ولايته فإنه كأنه أحب أن يعبد دون الله وهو فرعون زمانه فافهم ولذلك قالوا (**الشيخ من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله**) فمن دلك على

الله فهو أخوك ومن دلك على غيره فهو شـــيطانك ومن ســـاعدك على الحظوظ بأن يقول لـك أعطيـك كـذا وأنا منقذك من المهالك بمهجتي ونحوه فقد قطعك عن حضـــــرة مولاك على أنك وجميع الأولياء في قبضـــة الحق فالذي يجب في هذا أن يرد من اتهم بالولاية والتصـــريف وبولاية أسلافه قلوب أمة المختار الناصح صــلى الله عليه وســلم إلى حضــرة الحق جل وعلا وأنه المحرك والمســكن وأنه عبـد الله لا غير لا دخل لـه في ملكه وأنه عبد ضـعيف اعتقد فيه الناس الخير بحســب ما يظهر لهم وأن بركتي هو أن أعينكم على صرف الوجهة والهمة لحضــرة السيد وإن أكبوا عليه يقول لهم فاذكروا الله يذكركم[53] واتقوا معاصــيه وامتثلوا أوامره فـإنهم لا يقنعون منـه بـذلـك فـإن ذلـك يســـمعونـه في المواعظ والخطـب ولا يعتقـدون في الخطيـب بـل هو إمـام لا غير وهـذا يقضـــي الحوائج بنفسه ومقصودنا إتقان الوجهة لحضـــرة المولى الواحـد جـل وعلا الظـاهر والبـاطن لا أننـا أنكرنا المراتب الولائية في خلق الله بل ملك الله يظهر سره على أيدي أوليائه فهو الظاهر والباطن في حضرة أوليائه فيجب إفراد الوجهة لحضرة الله وتعظيم أهـل ولايـة الله باتّباع طريقهم القديم وأما أهل الطريقة الأولى فإنهم

---

[53] ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ (152) سورة البقرة.

في أصـــل خلقتهم ودخولهم فيها تجلى فيهم صــاحب الطريقة بحلته المجردة من غير وغيرية فتجردوا عند تلقين العهد لما تقدم من أن النبي كثر تصـــريفه فيها وكثرت أنواره بل ما من واحد دخلها أو أراد دخولها إلا وشوقه النبي صلى الله عليه وسلم بذاته الشـــريفة يقظة أو مناماً بحسب الزجاجة على ما يطيقه فينزع صلى الله عليه وســلم في أركانه الباطنية جميع الحظوظ ويقنع باتّباع الشــارع لما وقر في صدره من الإيمان الكامل ويسكنه صلى الله عليه وسلم بجيوشه وشريعته وإن لم يقرأها فلا قصد ولا يجتهد إلا في إتقان الوجهة فيفهم ذلك كله عند الإذن بلا معلم بل بإلهام فضـــل نبوي فتجدهم كالجبال الراســـيات في إيمانهم ولا يعرجون على مرائيهم فيعدون كلام شيخهم أقوى ما يستدلون به على أحوالهم فتجدهم ينقبضـــون عند المراءي وعند الوقائع الولائية فيقولون لو كنا محبوبين عند الشيخ ما رأينا شيئاً ولا ولينا شيئاً فيتفطنون بالمكر عند مرائيهم كما كان يقول من لا إيمان له إذا رآ واقعة أو كرامة فيشهد على صحة طريقة شيخه بالرؤية الخيالية التي لا تنضبط في الغالب لاختلاف الأحوال وذلك دسيسة نفسية حيث حكم على الشـــريعة والطريقة المستمـــدة لله بخيال أو شبهه والعجب كله لمن يستدل بالمنام على اليقظة وبأوهامه على كتاب الله وسنة رســـوله وطريقة شـــيخه فتجده يزيد في العبادة بشـــروط الطريقة

بمنامه وينقبض عند عدم الرؤية والراءي فلو صلح لاكتفى بما عند سيده من غير تعرض للغيبيات بعالم الخيال صحيحاً كبيراً لكن لا يفهمه ولا يعرفه إلا من فني عن عالم المشاهدة بإتقان الوجهة معتقداً أن لوازمه في قبضة سيده وما على العبد إلا القبول والأدب لحضرة السيد وعليه فلتعلم أن الأمر بحسب المثل كملك عظيم الخزائن والعبيد خلف عنه لعدم مناسبته للعبيد واحداً من العبيد ونزل منزلته وجعل مفاتح خزائنه في يده وأذن له أن يمضي وينفذ جميع ما كنشه وكتبه في كتابه ودفع له كناشاً له وأمسك عنده كناشا كبيراً قدر فيه جميع الأرزاق والوقائع الخلقية ولم يطلعه على جميعه بل أطلعه على بعض الإشارات له تنبيهاً منه على عظم ملكه وأمره وعلى أنه إن بدل في التقادير الرزقية يأخذه بالكناش المكتوم عنده فيجعل كتمه الخوف من مقام الملك فيسهل التنفيذ بما عنده وبين له مقصوده في أمر ملكه فلما ظهر ذلك العبد بلباس سيده الذي هو الأمر والإمداد وهو من جنسهم والسيد لا مناسبة بينه وبين أهل مملكته لعظمة جلاله وجماله حق على العبيد[54] أمر الخدمة بوساطة عبد منهم وهو حجاب بينهم وبين قهر الملك فخاطبهم الملك على كرسيه بأن أمره وشئونه في يد

---

[54] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بلفظ "العبد".

عبده الخليفة عن ملكه في كل أمر أمر فامتثل كل العبيد أمر السيد محبة فيمن جانسهم في العبودية فسرت البيعة في كل روح لأن الملك قال لهم فمن أراد بابي فليلزم باب خليفتي ورضاه ومن أطاعني أطاعه ومن رضي عنه رضيت عنه ومن قبله قبلته ومن أعرض عنه أعرضت عنه ومن عصى أمره عصاني ومن عصاني أغضبني ولوازم الغضب ظاهرة أعظمها التنحية عن حضرتنا وخدمتنا ومن لم يدخله لا مطمع له فيه ومن أدخله علمت أنه حبيبه فأحبه وهو خليفته وحاجب حضرته ودال عليه ومعلم ومرب والملك غني بنفسه عن الخليفة ورعيته تهديداً للجميع فعرف العبد الخليفة قصده وعرفت العبيد إشارته ببركة الخليفة فحصل العلم القطعي للخليفة بأنه ليس هو عين الملك فإنما هو عبد مثلهم وإنما ذلك سياسة وعرفت العبيد بأن الخليفة ليس هو الملك فإنما نزل منزلته في الأحكام فنصب الخليفة حاجباً منهم يظهر أمر سيده فكلفه بجميع لوازم سيده وأعطى له كناشاً من السياسة منسوخاً بعضه من كناشه وبقيت أمه عنده للمحاسبة والحجة به ليلا يغير ما كلف به فدفع له الخليفة مئونة جميع العبيد تجرى على يده بالسياسة فإن أساء يوصله لسجن سيده ففرق الحاجب جنوداً وكبر على كل جند واحداً ممن رضيه وقبله الخليفة فأفاض جميع ما في يده لأيدي كبار الجند وتبع ما رتبه الملك في سياسة الملك

فإن الخليفة له مئونة بلا حســـاب والحاجب له مئونة مرتبة على أيدي الخليفة مائة مثلا وكبير الجند خمســـون مثلا وقائد رحى العسكر خمسة وقائد المائة ريال والمقدم على الجند المخصوص نصف والنفار للعســكر ربع ريال والنفر المفرد لا تكليف عليه إلا الخدمة الملكية درهماً واحداً والكتاب مثلا ريال لكل واحد مثلا فالنفر بالعرف الملكي يجب عقلا وأدبا أن يعتقد أنه خادم لواء الملك لأنه في زمام الملك وأنه لا يأكل إلا رزقه وليشكر الواسطة الكبير عليه ممن يأخذ مئونته منه بتعظيم جنابه وأنه أقرب منه إلى الملك لأن النفر مقيد في كناشه عند الملك لأنه ملكه وسياسته وتقديره وإرادته فإن خرج عن حــضرة كبيره فلا يجد من يقبله في خدام الملك في زمام الملك بأنه يأخذ على يد فلان كبيره أياً كان ولا يحتاج إلى من يعلمه ذلك فالنفر يخدم حضرة الملك وحضــرة كل كبير عليه من خليفة وحاجب وقائد رحى وقائد مائة والمقدم بحيث لا يمكن له أن يجرد واحد بالشكر بل كل واحد كبير عليه ممد له وهكذا إلى حضــرة الحاجب وإلى حضــرة الخليفة والمرتبة العليا تمد الســفلى ولا منة للســفلى على العليا إلا بالامتثال أدبا فحينئذ يراعي حرمة أدبه حتى يرتاض فالخليفة لا يأكل إلا ما قدره له الملك ولا يعصـــيه لعظم أمر الجلال المشـــاهد عنده وكذلك الحاجب لا يعـــصي وإن أمكنت منه المعصية للحجاب بينه وبين

ســبحات الجلال لكنه ممنوع بالاصــطفاءِ وجلال الخليفة والكبير على الجند لا تخطر المعصية في قلبه لما دهمه من صحبة الخدمة النظامية بل لا راحة له إلا في تنظيم أمر الملك ولما دهمه من جلال الحاجب وقائد الرحى ففني بالشـــجاعة حتى لا يعرف وجه المخالفة لأنه ســـيف الملك ومنظره وقويت عليه قوى الملك لأنه يده وقائد المائة يخالف في بعض الوقائع لملاحظة من دونه لتكون له يد عند كبيره ففشل عن القوة بحظ نفسه حيث أحب أن يحبه كبيره وقلّت ملاحظته للملك وأما من فوقه فلا حظ عنده بل أغرقته ســـبحات من فوقه مع الوقوف على التنفيذ والتنظيم والشـــجاعة الحالية والمقدم على النفر يخدم على وجه الخوف مع رعاية شـــهوات نفســـه ممزوجة بنخوة أمر قائده والنفر يخدم مع الجسارة عن حضرة مقدمه من غير تعرض لشـــيءٍ زائد عن صائر نفسه مع القيام على ساق الجد في الطاعة معرضاً عما اشتغلت به ولاته والنفار شـــغلته النفارة في بعض الأوقات فلينته بها ومن تبع الجند من الضعفاء والمرضى فسهمهم الرخص لا دخل لهم في أمر التولية الملكية وهم ونســـاءُ الخدام وأولادهم قبل التولية وأهل الحرف المعاشـــية قبل التولية إن كتبت وكل من تبع الملك لكرمه أو ســطوته من غير داعية العبودية المحضــة في بحبوحة الفضــل وهم مظاهر أهل دولته وأهل دولته مقصودون للملك فظهرت آثار

مظاهره فيهم فمثال الملك له المثل الأعلى خالق الخلائق جل وعلا ومثل الخليفة عنه إطلاقاً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثال الحاجب خليفته صلى الله عليه وسلم في كل عصر رسولا أو نبياً أو قطباً ومثال الكبير على كبراء الجند الأمير اليميني في الديوان ومثال كبير على بعض الجند الأبدال ومثال قائد الرحى أهل الأحوال من الأولياء فهم سيوف الله فهم أنفع الناس بهممهم وأضرهم بها لعدم الصبر على المقادير مضربين شجاعتهم وغيرتهم على رعية الملك وحرمته من آداب الحضرة الإلهية فتساعدهم لقوة غيرتهم مرة وتقهرهم أخرى لسوء أدبهم وهم فانون عن أنفسهم مغلوبون بسبحات الله ومثال قواد المائة من دونهم من الأبرار والصالحين المستنجدين لله ومثال النفر بقية المستخدمين في الولاية الظاهرة كالخطط فهم أكثر الأولياء تبعاً وبعداً وخدمة مع عدم الأدب ومثال النفار مثال القصاص من الوعاظ وأهل الخطب فهم وإن تعلقت مصلحتهم بجميع الجند لكن لم تغنهم الهمة بالأعمال ينفعون بنفس أشداقهم بلا أدب وعمل صالح بإتقان الوجهة بل يجعلون العلم صنعة وحرفة للكسب المعاشي ويعدون ما بيد غيرهم من الحرف أعظم مما عندهم فلو وجدوا السبيل للولاية والتجارة لتركوا الخطب فهم خدام في سياسة الملك بلا قصدها بل لحرفة يستغلون غلتها بالخراج المالي ومثال الضعفاء

والمرضى ونساء الخدمة ومن تبع الملك لكرمه أو لخوفه بقية عوام الخلائق الذين لا دخل لهم في أمر سياسة العالم بل هم فلاحون مثلا وتجار فهم سهم الرخص فكبير الجند ومن فوقه طريقة محمدية لتجردهم من الغير والغيرية في كل عصر فهم محل نظر الله في كل عصر لصفاء طوياتهم من الحظوظ وهم المربون في كل عصر على الحقيقة وغيرهم من المدعين إنما يضلون عن الطريق المستقيم وقواد الرحى رجال الغيرة لا غير تجلى فيهم الملك بقوة الغيرة لا يصلحون للمشيخة لوفور صولتهم وقائد المائة مرب لمن دونه تربية مقيدة بمقدم المائة ومقدمه كذلك فلم يطلق لهم في التربية لقوة حجابهم والمقدم مثال بعض المربين بتربية خاصة لقوم مخصوصين ومثال الأولياء الذين لم يعط لهم السراح لحضور الديوان الملكي الذي تدون فيه آراء خدام الدولة على اختلاف أجناسهم ومراتبهم سياسة لا غير وترتيباً لأمر الملك ولا ينفذ إلا ما أراده الحق جل وعلا وإنما تجليات الأسماء تتلون في رجال الغيب ولا يبرز إلا ما دون في كناش الحق المكتوم بالنفر العسكري لأنه خادم في الانتظام بل هم المقصودون بالتنظيم وهم كثيرون أقلهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً فلم يكن بلد من بلاد الله إلا وفيه واحد تنظم عليه الأمور الحقية فإذا انتظم بالمثال علمت أن رجال الغيب المعتبرين المؤيدين الصحابة في كل عصر

وهم الذين تبعوا مقتضى إيمان صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم الذين عبدوا الله من غير ملاحظة حظ نفسي دنيوي ولا أخروي حتى أتاهم اليقين أمر الله بالرجوع الكلي إليه ومعنى الرجوع الكلي فناء الذات الترابية الغليظة التي شأنها الركون إلى أمر شهواني فإذا سحق الله مراسمها بالمراضيخ الملكية صارت الروح موصولة بلا حجاب القارورة الجثمانية وكذلك من تبعهم من الأقطاب والأفراد والأوتاد والصديقين والأمراء والنقباء فهم على طريقة محمدية ولذلك صح ظهور أوامر الله فيهم وغيرهم من أهل التصريف مائلون بعد القرون الثلاثة عن الطريقة الأولى لأنهم باعتبار مقام المحمديين كالعوام الحمقى ببشريتهم فإذا علمت أن الثقلين على قسمين قسم مستخدم في أداء السياسة الملكية وهم النفر إلى من فوقه وقسم استخدمتهم نفوسهم واستخدموها تارة في مرضات مولاهم وتارة في مرضات نفوسهم وفي الحقيقة لا يسارعون إلا لنفوسهم فإن جدوا على نفوسهم حتى استعلوا على أحكام الله وتجبرت نفوسهم فهم أرذال العوام الكفار وإن لم يصلوا إلى حد الاستعلاء بل يخالفون لنفوسهم مع تقيد قلوبهم بدين الله على يد نبيه وإنما يلعب بهم الهوى فهم عامة المومنين في كل عصر ثم الخلائق قسمت إلى ثلاثة أقسام أيضاً عامة وخاصة كقواد الرحى ومن دونهم من أهل الانتظام الملكي وخاصة الخاصة وهم العارفون

الأعلون فمقام الخاصة مقام الإيمان المصطلح عليه عند القوم ومقام العامة الإسلام ومقام خاصة الخاصة مقام الإحسان وكل مقام له مواقف ثلاث يقف فيها رجال مناسبون للمواقف فالعامة على ثلاثة والخاصة على ثلاثة والعارفون على ثلاثة فكل جنس يقف لموقف يناسب همته ولم يجز مقام الإحسان في كل زمن إلا الرجال المحمديون فهم المحسنون وجهتهم المتقنون إفرادها لحضرة سيدهم والخاصة يعبدون للجنة لا لله وعبادتهم صحيحة في ظاهر الشرع بحسب ذوق مقامهم وفاسدة قطعاً بحسب ذوق المحسنين العارفين والعامة يعبدون للدنيا وللحفظ من النار فعبادتهم صحيحة بحسب ذوق مقامهم وناقصة عند الخاصة لعلو ذوقهم عنهم فالمقامات الثلاثة جميعها دين كامل والأول فقط ناقص والثاني مع الأول ناقص والثالث مع الأولين كامل جداً وعليه فالدين الكامل ما كان عليه أهل الطريقة الأولى من الصحابة والكبير ومن فوقه وما شاكلهم في دينهم من إفراد العبادة لله بالله وعلى الله وفي الله حتى جلس على كرسي العبودة المتولدة عن العبودية فالعبادة مقام الإسلام والعبودية مقام الإيمان والعبودة مقام الإحسان وعلى نهج الطريقة الكاملة السنية رد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة أمته ولبابها وخيرتها وميزها من حثالتها ونقاها بتربيته على الوجه الأكمل على يد صاحب الطريقة الأولى المشار

له عند أهل الذوق السالم في كل عصر من زمن الصحابة إلى ظهوره في حدود السبعين من القرن الثاني عشر وقد أكثر جده على الطريقة[55] الأولى بهمته وعلمه سيفه أسد الله حيدرة سيدنا ومولانا نعمة الدين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بجوهرة أصل النبوة وتفاحة الجنة الملكية الآدمية الحورائية وبجواهر الخلافة عن الله نور القطبانية في أولاده إلى يوم القيامة الكلام عليه وعلى مقامه وعلى أنه حجاب بين الطوائف كلها وبين سر النبوة ووصفه بالختمية الكنزية الكتمية وصار هو سالا سيفه على طريقه حفظاً لحرمة أهلها لأنها مفرعة عنه في كل عصر وفتح باب المجال لكبار بحار الأولياء في كل عصر حتى عقد كل عارف بيعته في الغيب وسماه بعض الأكابر باسمه ولم يميز بلده وادعى قوم مقامه ثم تبرءوا بإذن إلهي إلهامي لعظم مقامه ومقام أتباعه فلما أبرزه الله ذهبت نجوم الأفلاك الولائية لستر مقامهم بظله فصار لا يظهر أحد إلا فيه إلى قيام الساعة وينفر على ما كانت عليه الطائفة الثانية من الركون إلى الكشوفات الكونية وبين دسائسها وأنها طريقة معوجة كل الاعوجاج فالطرق ثلاثة طريقة الجنة معوجة إلى جهة القلب وهي منحرفة عن الحق كل الانحراف لولا فضله جل وعلا

---

[55] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "طريقة الأولى".

لأذهب رسوم وأطلال أهلها لسوء أدبها لأنهم سافروا إلى غير الله واستعملوا القربات التي وضعت لعبادة الله في طلب غيره الذي هو حظهم الشهواني في الجنة ذاتا ونعيما وطريق النار معوجة منحرفة كل الانحراف عن الحق جل علاه إلى جهة شمال القلب وهي طريقة فاحشة حلوة خضرة وطريقة مستقيمة معتدلة محجة بيضاء لا كدية ولا وادي ولا قاطع ولا تعب ولا تقشف فيها وهي طريقة الحضرة القدسية الحقية وغيرها باطلة في عرف العارفين أهلها وهي ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ**﴾[56] ﴿**مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء**﴾[57] التي هي طريقة الفضل الإلهي طريقة الحمد والشكر وطريقة الخلوة القلبية لا البدنية المجردة عن كل ما يشغل ويحجب عن سبحات جلال وجهه جل وعلا النقية بلا احتياج إلى التصفية بل هي صافية بصفاء أهلها بالفطرة الإسلامية بحيث لم يحدث أهلها قصداً يقطعهم عن سيدهم بل بقوا على ما كانوا عليه في عالم الذر عالم البرزخ القاهر كل جوهر وعرض بخرقه العوالم كلها من أرض وسماءٍ وجنة وعرش مبدئه من الأرض السابعة وهي متسع جداً لسعة مجال العلم فيه وهي مسكن الكفر والشرك أهل الخلود في غضب الحق جل علاه فكل روح تقابل

---

[56] (7) سورة الفاتحة.

[57] (69) سورة النساء.

مقامها الذي أريد بها وأعلاه أضيق الأشياءِ لقلة وذهاب رسوم العلم الفطري فيه وهو مقام سيد العوالم صلى الله عليه وسلم خارقاً العرش سقف الجنة فالروح فيه مجردة من الغير موجهة لسيادة سيدها لعظم الجلال وقهره بالمعاينة فإذا علمت أن الذي يعبد الله على الحقيقة أهل الطريقة والمربون المشايخ الأكابر قواد الطريقة الثانية بعد تصفية بواطنهم من الحظوظ النفسانية ظهر لك أن القرن الثاني عشر مفضل على القرون قبله لمن حل غير القرون الثلاثة الذين سلكوا إلى الله بلا قصد شيء يوصلهم لأنه ظهر فيه نائب النبي صلى الله عليه وسلم على الحقيقة إلا على ما يدل عليه صلى الله عليه وسلم من توحيد العبادة لحضرة الجلال مضربا عن الخواص وفضائل القربات بحيث لا يلتفت إليها ولا يركن لها ولا يترك تابعه يتشوف لها عالماً بأن الفضائل إنما ذكرت تشويقاً للمريدين لحضرة المهدي جل وعلا لا إلى الهدية فقسم العبادة إلى أربع قاصد بذكره غرض نفسه من الدنيا والآخرة والفتح والكشوفات والأسرار والعلوم بحيث لم يستعمله إلا له فهو شرك حرام فهو ظالم قطعاً قاصد بذكره وجه الله مع ملاحظة حظه بخاصية الذكر فهو أخف من الأول وهو شرك وقاصد بذكره وجه الله لا غير مع ملاحظة قضاء حاجته عند اختتام الذكر لا بقوته ولا بطبعه ولا بخاصيته فهذا عابد لله مع نقصان مقامه بالملاحظة وهذا

المقام هو مقام ضعفاء طريقته وهو مقام الجهل في مرتبة الإحسان وقاصـــد بذكره الخاص العبودة للعبودية قبلها من غير تعرض لرائحة غرضـــه عند التلبس بالقربة وكذا بفور قربها قبلها وبعدها بل فنيت مراسـمه عند ذكر جلاله بالهيبة وعند ذكر جماله للأنس وعند ذكر رحمته بالفرح وعنـد ذكر كرمـه بالشـــكر وعند ذكر قهره بالخوف وعند ذكر قوته بالضـعف إلى ما لا نهاية لصـفات الرب فكلما ذكره بصفة لبس حلة ضده فيذكر امتثالا واستحقاقاً أو شوقاً أو غلبة بلا تعمّل فيه بـل يـذكر الله بالله لله في الله فانياً عن نفســـه بذكر أوصـــاف ســـيده قانعاً أن كان آلة يحركه الله لمجاري أقداره وهو الذي خلقها وعرضـها لما شـاء وحصـل له العز الدائم بسـيده فعزه قديم لا يفنى وملكه ملك سـيده لا يبلى ومدده من سـيده لا ينفد وعلمه علم ربه وهديته هدية ســـيده لا تنقطع لأن فعله فعل واحد فكمل وارتقى لحضـرة سيده مضرباً عن عمله مشاهداً عند مباشرة عمله سراية فعل سيده وأنه لا تأثير لشـــيءٍ مع الله فأهل الطريقة الأولى كلهم عوامهم وخواصـهم منزلون منزلة المشـائخ في الطريقة الثـانيـة لأنهم أحســـنوا عبـادتهم ولا يمرون إلا بـه ولا يحبون إلا المحســـنين ويكرهون أهل الدعاوى للولاية أي من يحبون الولاية لأنه يناقض العبودية فالعبد عبد وإن قربه سيده فسيده هو الفاعل وهو محل فعل ســـيده وهو مقهور بالملك والعجز والتحجير عليه

بحيث لا يعطي ولا يمنع إلا به فهو غاية الذل لو عرف فعرف ذلك أهل الطريقة الأولى وتجردوا من دعوى الولاية وإن كانوا أولياء بالله ولا يظهرون ذلك بل يباشرون ما كلفوا به ولم يروا لأنفسهم عملا ولا قدراً لأنهم علموا حق العلم بأن الولاية الحقيقية للسيد والعبد وإن عظم أمره عند العبد فإنما ظهرت عليه عظمة السيد وهو مجرد منها لأن العاقل لا يعتبر إلا الأصل الذاتي فأصل العبد ذل الملك والتحجير والضعف والفقر حيث لم يملك نفسه فضلا عن غيره وإن تذلل العبد فذلك عزه وإن تعزز بعين الذل الحقيقي فالمطلوب من العبد إتقان الوجهة بظاهره كما أتقن باطنه الذي هو أصله فأصله بالغ نهاية العبودية طائعاً أو عاصياً لكن العبرة بالظواهر فإن وافقت البواطن فهو عارف وإن خالفت فهو جاهل عبودية أصله من عرف نفسه عرف ربه فتجرد أهل الأولى ولا يحبون إلا الشريعة فيترتب عليه حب ما استحسنته وبغض ما استقذرته ((**الحب في الله والبغض في الله من الإيمان**))[58] ولا يشتغلون بإزالة الحجب بل رضوا بما هم عليه وهو عين الفتح فمن أتقن وجهته وأحب الشريعة فامتثلها وتجنب كل ما حدث بعدها فهو العارف وإن كان ظاهره من جملة العوام فمن كان بصيراً بالأمور

[58] الراوي: عائشة | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم: 4918.

ثم غمض عينيه فهو عارف كفتحها (لو كشـف الحجاب ما ازددت يقيناً) فعليك أيها الأخ بالانتظام فيها راضياً أن تكون منهم أو محباً لهم فهم عين العارفين الذين ظهروا بالمشيخة وإن لم يعرفوا عقبات السلوك فإنهم أقرب ممن عرفها ويعلمها للناس ويشتت فكره بها في أول سلوكه ومن أحسن وأمسك عن الخوض في الإرادة التي هي عين الحجاب مضـــرباً عنها فقد فتح عليه أكبر من كل فتح وما يترتب[59] عن إحسان الوجهة إنما هو غلة إتقانه ولا يعرج على الغلة بل على الأصـل لاسـتلزامه الغلة فتجدهم فانين بالأصـل كاتمين أسراره لأن من ملك الأصل يعرف الغلة ويستغلها أحبها أو أضرب عنها لأن الغلة ناشـئة قطعاً عن الأصل بالله فمن وجد بعض الغلة عند غيره بهدية أو كراء نقص مقامه عمن ملك الأصل والغلة فشد يديك معاً عن الطريقة النبوية التي بينها سـيده بوحي إلهي ورد خاصـة أمته إليها بعد أفول نجوم بوارق الطريقة الثانية ولتعلم أن صاحب الشرع الآن صلى الله عليه وسلم قائم بأهل الطريقة الأولى كزمانه بل أشـد منه لأن زمنه فيه السـيف وهذا الزمان إنما فيه سيوف أنواره ويقتص من أهل البدع بإمساك أنوار جماله وشريعته عنهم حتى يرجعوا إلى الله فإذا تمهد لك بالأدلة أن الطريقة الآن

---

[59] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "يترب".

إلى قيام الســـاعة هي التي كان عليها أهل الهجرة والنصـــرة وأنها مناقضـة كل المناقضـة لها لأنها حاكمة على الثانية دون العكس ولا يســتدل بأحوال أهلها حال السـلوك من اجتهاد وخلوة على الأولى وأما شـيوخها المسـلكون بسـياسـة ترقيق الحجاب فتقدم أنهم من الأولى وإنما فعلوا ما فعلوا لغرض السياسة لا غير وهم عالمون بأنها معوجة لغرض تمنيـة الضــعفـاء لا غير وأمـا هم فغرقى في بحور الإحســـان ولذلك يوجهون النـاس في آخر أمرهم الى حضـــرة الإحسان وعليه فما يذكر في الكتب المؤلفة في الثانية كإحياء علوم الدين وجواهر الخمس وقوت القلوب إنما نطالع كتبهم لســـعة في أحوالهم تـدبراً بهـا لا غير وأما أهل الأولى فلا تناســـبهم إلا عوائد وأخلاق النبي صــلى الله عليه وســلم ومن ورثه إرثاً كاملا بإتقان الوجهة فتتبع أخلاقه صــلى الله عليه وســـلم يغني عندهم عن كل حكاية من الثانية لاختلاف الأحكام وعليه فقد أخذتني الغيرة حتى ارتعـدت فـرائصي عن الطريقة الأولى التي تخلط بالثانية بذكر همم أهلها فهممهم قاطعة بحســـب ما في كتبهم لكن لطلب حظ لا في العبوديـة التي هي عين العز لكـل عبـد فلا أحـب من يطـالع كتبهم ممن لا خبرة له بما سـطرناه وإن كان محسـناً لأن المحسـنين منهم من عرف وجهه ومنهم من أحسن من غير مبالاة بالعواقب والنتائج وهم العامة فيه وعامي المحســنين أعظم من سـائر أهل الثانية قبل

التجريد وأما بعده فهو من أهل الأولى لأن شيخه مجرده فعلى أهل الأولى مطالعة سير نبيهم وهو الشيخ الأكبر لأهلها لأنه صلى الله عليه وسلم قال لحامل ألويتها ((**أنا شيخك ومربيك وكافلك فلا منة لمخلوق عليك. وقل لأصحابك لا يتعلقون بأهل الثانية**)) المسمون في عرف العامة بالأولياء لظهور الكشوفات على يدهم وأما أهل الطريقة الأولى فلا يسمون عندهم أولياء لأنهم بريئون من دعوى الولاية عالمين أن الولي هو الله محتشمين منه وأن صرفهم مولاهم تصرفوا به وكتموا أمر الخدمة الملكية فافهم قوله **لا منة لمخلوق عليك** وكذا على أصحابك متكلماً صلى الله عليه وسلم عن لسان الله في قوله لخ وعن لسانه في قوله أنا كافلك ومربيك بأمر من الله جل علاه تظفر بكنز سر الصحبة منه ومن أتباعه فاقنع أن تكون من أصحابه صلى الله عليه وسلم ولا تطلب أمراً زائداً عنه فشد يديك عن مقامك الذي هو الإحسان مطلقاً شاكراً لأنعمه مجتبأً مختاراً للحضرة القدسية منعماً بها في الحضرات كلها سواء أزيل الحجاب أو ثبت لأنه في حقك عين الكمال ولا تغفل عن سيرة شيخك آخر عمره لأن النسخ يكون في الطريقة كالشريعة لأنه إنما هو إشارات صاحب الشرع شيخه وقد قال شيخه: **واجتهد في النفس وعدم القصد فإن للحضرة الإلهية بابين باب مفتوح وباب مسدود فإذا برزت العبادة من صاحبها بقصد**

شيء من أغراضه ولو معرفة سيده ورضاه تمر عبادته إلى الطريقة الموصلة لباب مسدود عليه فتحجب عبادته ويحجب صاحبها واذا برزت من صاحبها بلا قصد شيء معها تمر في الطريقة الموصلة إلى الباب المفتوح فتجده مفتوحاً فتدخل ويدخل صاحبها ويقبلان معاً وذلك غاية الأدب وهو أدب العارفين فإن توجه بعبادته لطلب وصل حضرة سيده ليرضى عنه فعبادته صحيحة غير سالمة من شوائب الحظ فإن أتقن العمل بالشروط يدر له الفلك به وهو متعمل والفضل لا ينال بتعمل ولا بتكسب فإذا تبعت سيرة شيخك كما في كتبه بعد موته حصلت على حقائق الدين كلها لأنه إمامه ومحبيه ونائب في التشريع والتوصيل وغاية سيرته تجريد النبي صلى الله عليه وسلم له من كل حظ فقال له **فلا تقصد شيئاً فإن طلب الفتح معوق له في الطريقة الأولى** فإذا تجردت لشيخك أنك في قبضة سيده وأنه لم يكن على الحقيقة غير الله وعبيده أعوان مملكته فيجب عليك أن تحب سيدك وتحب له عبيده على مقتضى الشريعة بحيث لا تميز كبيراً من صغير ولا طائعاً من عاص فإن أعلمك مولاك بهم فاخدم سيادة ساداتك العبيد ونزلهم منزلة سيد حاكم صائل فاخدم حضرتهم على مقتضى إشاراته جازماً بأنه هو الهادي الفاعل بالاختيار وأنت مضطر في المباشرة وإن جعلك كبيراً أو قائد رحى فاعلم أنه ترتيب

الملك لا غير ولا حظ لك في العمل والاستعمال فإذا عرفت ربك فاعلم أنك لم تعرفه بنفسك بل هو المعرّف لك وإذا فنيت فاعلم أنه هو المفني لك فإن وحدت فهو الموحّد فإن علمت فهو المعلم ﴿**سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[60] حكاية عن المخلصين الموحدين المفردين الذين لا حظّ لهم مع ربهم أصلا وإن استعملك فهو العامل وإن أهملك فهو الفاعل ولا حظ غير أنك مظهر أسمائه فإذا تعدت عليك سيادة العبيد فلا تنظر فيهم إلا وجه سيدهم سيدك واصبر لأذاهم فإن الإذاية اقتضته سيادة متعددة فبعض يحبك منهم وأكثرهم يحب تأديبك بالقال والفعل ولم يكن فيه إلا الله لأنه المحرك لهم فلا حظ لك في مقابلتهم بالإساءة ولا بالمسامحة لأنه محركهم ومكلفهم وإنما يسمح الإنسان إن ظلم فأنت عبدهم مكلف بهم ولا تنظر حالتي الإحسان لك ولا الإساءة غير سيدك الحق ظهر أثره في الخلق ومن ضربه عون القاضي فإنما ضربه القاضي لا العون وعليه فلا تشاهد غير مولاك لأنه مع ظاهرك وباطنك بذاته وصفاته وأسمائه غير بعيد عنك بل أنت حادث طارئ في حضرة وجوده خيال في حقيقته جل وعلا فلا تحب إلا مراد الله من غلاءٍ ورخص وفرح

---

[60] (32) سورة البقرة.

وســرور وبســط وقبض في حقك وفى حق ســاداتك العبيد وقر عينك بهم فهم مراســل ســيدك لك بأي أمر وعليه فانظرهم أعواناً وأكرم مثواهم وارض بحكم ربك فإنه أليق بك فلا تشتك بهم قطعاً لأنه عين القطع عن حضــرة ربك فإنك لو فهمت عن الله لوجدته الفاعل فتشتكي بسيدك لسيدك بل واجهك أحد منهم بإذنه تنبيهاً لاســتجماع أدبك وفقرك وقد أكثر البلاء لأكابر الرســل والأولياء ليكثر شــهود مولاهم في كل فتنة من الخلق ليزيد كماله وعلمه بفعل ربه ونفوذ أمره في كل ذرة من ذرات وجوده فأكثر الخلق صبراً لعبيد سيده سيد الكل وإمامه صلى الله عليه وسلم لشفوف مرتبته عند مولاه بمشاهدة سيده في كل شيءٍ شيءٍ ويقنع مما ســواه أتم قناعة ثم من يليه من لبس حلته الكاملة من الرســل والأولياء تنبيهاً على مشــاهدة الحق في حضــرة الحق فيعظم قدره عند مولاه بالجمع بين حضرات الحقية في الخلقية حلواً ومراً ثم إن الأمير يجب عليه نظراً أن يعتقد أن المقصــود عند ســيده بالذات الرعية لا الخدمة لأنه إنما هو ســهم المخدومية والمخدوم أعز عند المؤمر فإن صــلح وإلا يعزله ويولي غيره هذا أدبه الأليق به ويجب على الرعية أن تعتقد أن الأمير عليهم أعظم منهم لأنه يشــاهد حضــرة الســيد وهم بمعزل عنها إلا بإذن أميرهم ومعونته وبركته وشفاعته فمن صلحه الأمير عند السيد صلح ومن جرحه عنده

انجرح ويعظم أمره ويتأدبون بأدبه ويتولهون بحبه وشـأنه وذكره وتعظيمه معتقدين أن تعظيم أمره من تعظيم الله ويعتقدون نفوسهم بمنزلة أولاده الضعاف الصغار متضرعين لأميرهم فيما نابهم متوسلين به لحضرة السيد فهذا أدبهم ومن أخسر الميزان ضل ضلالا بعيداً عن الأدب ولا تتعرض لأجرة على الولاية لأنك عبد لا أجرة لك وقول بعض الأصفياء ﴿**إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ**﴾[61] فمن باب خطاب الناس بما يفهمونه لا أنه صمم على الأجرة فإذا تجردت من الثواب والعمل والولاية بحيث أدبرت عن نفسك ولوازمها وفنيت عنها كل الفناء العلمي والذوقي أشرقت عليك شموس الأسماء والصفات فإن فنيت عنها بالذات أشرقت عليك بحور شموس بحر العمى الرباني فتنسد مسامك بعد افتتاحها بالأسماء ويبقى انفتاحها وانسدادها وتفنى المسام الظاهرة والباطنة وتطلع شموس سماء غيبة أنسه في سماء هيكلك الفاني فيبقى هباء اندقاق سماء أرض بشريتك موصولا بسماء أرض سيدك مفروقاً معها مجذوباً بمغناطيس هيمان السعادة الكرمية فتكون أنت ولست أنت بل ترياق معاجين الرحمة الربانية لحضرة الرضى الخلقية فتصير معافاً بعافية سيد الكل وهي التي كفلها من حضرة

---

[61] (72) سورة يونس.

سيده التي هي عين الفناء والصحو في كل تجل ذاتي أو صفاتي فتجلى بمقام حلة الاسم الذاتي المطلسم عمن ليس من جنسك ممن سحق ودق وأحيي بنبات بذر اسم سيدك الحي فتحيا لك وبك أغصان السعادة الفضلية فتسعد بنفس واحد منك العوالم الرحمانية الخاصة وعليه فلتعلم علم ذوق وهبي بأن الكتب الربانية ما كتبت وكذا الأنبياء ما نبئت ولا أرسلت إلا لأمر واحد ومطارقتهم لموضع واحد وذوق إشارتهم لمعنى واحد وكذا العلماءُ ما ورثت وأرسلت نيابة ولا ألفت ولا سهرت ولا قصدت ولا توجهت أقوالهم إلا له وكذلك الذاكرون ما ذكروا وكرروا الجلالة والتسبيح والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا لذلك المعنى لا غير يفهمه من آمن إيماناً كاملا وهو توحيد العبادة لحضرة السيادة الحقية فشرع جل وعلا الشرائع الكثيرة وأرسل رسلا كثيرة له لا غير فهمه من فهمه وصار عارفاً بربه وجهله من جهله وصار غريقاً في بحر العامية الصرفة وعليه فاعلم أن الإنسان مركب من ذاتين ذات روحانية باطنية وهي أعظمها مقصودة بالخطاب الإلهي وهي نور صرف لا يعلمها إلا من تخلق باسمه جل وعلا الباطن وهي لا يناسبها إلا بحر الأنوار الربانية ومأكلها ومشربها ومركبها وملبسها في العلوم النقلية ثم الذوقية اللدنية الوهبية ولا حظ لها في التراب ولا في نباتها من حيوان وجماد

وحب وغيره ومسكنها البرزخ وما اشتمل عليه من روائح ربها فلا تحب إلا لذتها وهي التنعم بحضـــــرة سـيدها ولوازمها من أزمنة البرزخ والآخرة وأمكنتها وهي في أصل خلقتها عارية منعمة صافية من كل كدر عن حضـــرة مولاها ولا تحب الجنة إلا لأنها مظهر سـبحات وجه سـيدها فتفرفر عند سـماع الجنة له لا غير والثانية ذاتية ترابية غليظة كثيفة فلا يناسبها إلا التراب وما ينبته فلما نبت من تراب غليظ لترابيتـه وثقلـه أرأيـت أن الـدنيـا أثقـل وأغلظ من الآخرة ونعيمها وكذلك كلما نبت من التراب من الحيوان والجوامد والنبات والنعيم وعليه فأكلها ومشـــربها وكل منافعها مقصــور على التراب ولوازمه بحيث لا تعيش يوماً واحداً إلا بأصـلها التراب وهو أمها وأصل الروح وأمها روائح الآخرة وأنوارها بحسـب أسماء الله فيها لا بها ولا معها بل بتقدير صـــاحب الملك جل علاه لا غير فكتبت الكتب من الحق سـياسة ربانية خارجة عن سياسة العقل بل تقدم أن العقل إنما هو نور للسـياسـة الشـرعية وبعث رؤسـاء الملائكة إلى رؤسـاء الثقلين الإنس والجن أهل التمكين والرسـوخ في بحور مقاصـــد التصـــريح والإشـــارة ليميزوا للثقلين الذاتين ولوازمهما وما لا يكمل صـلاحهما إلا به من أكل وشـرب إلى آخر مقتضـياتها يعرفه من وفق فوضـحت الرسـل تصـريحاً وتلويحاً أن الذات الترابية الظاهرة يجب عليها وجوباً شـرعياً عقلياً أن تشـتغل

بالأسباب العادية التي علّمها جبريل لسيدنا آدم عليهما السلام من حرث وتجارة وحرفة وكل تحرك تنفعل عنده بالله لا غير مقتضياتها من أكل وشرب إلى آخر لوازمها فبين الكتاب من الله أن الذات الترابية يجب أن تلازم الأسباب العادية التي علق الحق جل جلاله أرزاقها بها على سبيل تغميض العين عن رؤية سر القدر الإلهي لا غير لأن الرزق يكون بالأسباب فالأسباب إنما هي عاديات والعادة تتخلف بخرقها فالنار تحرق بالله لا بنفسها ولا قوتها ولا قوة فيها ولا طبع فيها ولا خاصية أرأيت أن إبراهيم عليه السلام خرق الله له عادته فكانت سلاماً أرأيت أن العادة المتعارفة في أمر الولادة أليس خرقها الله في آدم وحواء وعيسى وكذلك الموت قد خرقها الله للروح بجذب من الجسد ولا تموت وكذاك الحيوان يخرج من الحيوان فأخرج الله الناقة ناقة صالح عليه السلام من حجر وأخرج من أصابع[62] سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الماء[63] وممن ورثه وقس عليه جميع العادات الإلهية التي

---

[62] أنَّ النبَّي ﷺ دَعا بإناءٍ من ماءٍ، فأُتِي بقَدَحٍ رَحراحٍ، فيه شيءٌ من ماءٍ، فوضَع أصابعَه فيه، قال أنسٌ: فجعَلتُ أنظُرُ إلى الماءِ يَنبُعُ من بين أصابعِه، قال أنسٌ: فحزَرتُ مَن توضَّأَ، ما بين السبعينَ إلى الثمانينَ.

الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 200

[63] سقطت من الطبعة الأولى بدرب غلف.

نصــبها لنا أمارة على ســر قدره لا غير فلا تغتر بالجمود عليها ولا بالخرق فـإن الفاعل واحد فيهما فلا تعول الترابية على ســـبب بل على سـيدها فإنما الأسباب تغميض لا غير فترك الأسباب معصية والاتّكال عليها كفر لأنه عول على غير سيده والسبب غير فإن الله يحب العبد المحترف[64] ويكره البطال وهذا ظاهر الشريعة تصريحاً أو تلويحاً مع سـياسـة انطوت الشـريعة عليها في أمر الأسـباب ألا تشـغلك عن الله تعالى وأن لا تضر بها نفسك ولا غيرك بحيث لا تـأكل أموال النـاس بالباطل بكالربى فإنه يغير القلب وكالســـلف بمنفعـة وكـالتـدليس فـإنه يغير القلب وككتم العيب من نحو الرقيق وكترك الزكاة فإنه يضـــر بالمساكين وكأكل الميتة فإنه يضر البدن والتراب والتصـــــريف في ملك الغير فإنه يؤذيه وكالنطق بكلمة الزور فإنها تحرقك بنار ظلمتها وظلامها وكالســـباب فإنه فســـوق يؤذي المومنين ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾[65] وإذايـة الله بإذاية المومنين فدله بوحدانية ذاته وأفعاله وصـفاته بحيث يعلم أن لا تأثير لغير الله أياً كان فرتب وعيداً على من أهلك نفســـه لأنه عبده أو أهلك غيره لأنه عبده ورتب وعداً

---

[64] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 551/2.

[65] (57) سورة الأحزاب.

لمن نفع نفسه أو غيره لأنه من عيال سيده وأما السيد فغني عن الغير كله فالشريعة ونتائجها ووعيد مخالفتها مصلحة للعبد لا غير لا حظ ولا غرض لله فيه بل هو منزه عن الأغراض جل علاه ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾[66] ويدل الكتاب من الله الذات الروحانية على الأسباب العاديات التي نصبها الحق وعلق بها أرزاقها بحيث لا تأكل ولا تشرب إلى آخر مقتضياتها إلا من نتائج الأسباب عادة والعادة تتخلف والأسباب أمر بها الحق جل علاه فيمتثل أمره ولا يعول عليها ولا نتائجها بل يعول وجوباً على السيادة المالكية الحقية وهي إقبال الروح إقبالا كلياً إلى العلوم الشرعية النقلية والعقلية وتغويصها في بحار جواهر مخدرات أسرار كتاب الله الذي هو كتاب أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بتلاوته بعد امتثال ما فيه وتفهم تصريحاته وتلويحاته وأسرار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو كلام نبوي مفسر لكتاب الله ظاهراً وباطناً لأن كتاب الله لا تدرك العقول ما فيه إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو لسان القرآن لأنه متخلق به أي صار له القرآن طبعاً وخلقاً وأشربته

---

[66] (56 و57 و58) سورة الذاريات.

عروقه وأجزاؤه وكلياته حتى صـار ينظر جميع ما فيه بلا تأمل بل صـار كتاب الله عنده ضـرورة كالسـماء فوقنا مثلا والواحد نصـف الإثنين مثلا واعلم أن النبي صـلى الله عليه وسـلم أطلعه الله على ما كان وما يكون من جميع ما تعلق بالكون لأنه أصله وأضافه جل علاه على ما تقتضـيه حقيقته صـلى الله عليه وسـلم من كنه الحق جل وعلا ولا حظ له صـــلى الله عليه وســـلم فيما لا تطلبه ذاته فذاته صـــلى الله عليه وســـلم أصـــل لملك الله ومثاله كمن دخل مدينة وعرفها ودخل القرويين مثلا وكل دار بفاس وكل بقعة وكل آدمي وميز جميع ما احتوت المدينة فبمجرد ســـماعه فاســـاً مثلا يشـاهد جميع ما احتوت عليه من كل شيء بلا تأمل فالنبي صلى الله عليه وســـلم إذا نزلت عليه كلمة حصـــلت له منها مشـــاهدة حقـائق مـدلولها مرموزاً إليها بالحروف الربانية على ســـبيل الرمز الإلهي فما من حرف منه إلا ودل على مثل فاس مركبة من خزائنها وحســـن أهلها وعلوم أهلها وولايتهم وظاهرها وباطنها وهو صـــلى الله عليه وسلم محيط قبل نزوله بجميع مدن مقدورات الحق جل جلاله بحيث لا يخفى عليه أمر ملك الله البتة فإذا قرأ آية أو كلمة انطبع بها ظاهراً وباطناً فيفســـر لنا لعامتنا ما نطيقه منه ولخاصتنا ما يطيقون في كل نفس من أنفاسـه ولم يضـيع نفسـاً بلا تعليم فإذا ظهر للصـــحابة يبين لهم بظاهره وبباطنه لباطن الوجود وإذا خفي

عنهم يعلم بظاهره وبباطنه باطن الوجود أي الذوات الروحانية وعليه فعلوم البواطن أعظم من الظواهر وهو المتوارث وعليه فلم يبين مثلا من المدن إلا أبواباً لا غير وبقيت السواري والسواقي والخزائن والرقم مثلا في خزانة النبي صلى الله عليه وسلم فلا يسع تفاصيل المكونات مخلوق سواه وورث منه صاحب الطريقة حامل لوائها الذي أمره أن يربي بها إلى قيام الساعة أمراً عظيما لا يسعه الكتب والعقل ولا الرمز ولا الدليل ولا جميع العقول الخلقية بل اختصه صلى الله عليه وسلم به دون غيره ممن ورثه وعليه فهو الوارث الحقيقي وغيره ممن قبله وبعده ممن يدعي مقام العلم المحمدي إنما أصابه رش منه لا من النبي صلى الله عليه وسلم وهو سر وساطته بينه صلى الله عليه وبين سائر الخلق من الأولياء فضلا عن غيرهم وعليه فعلوم القرآن مخزونة في خزانته صلى الله عليه وسلم فما بينه للعامة وصل إلى العلماء عامة بحسب استعدادهم وما بينه للخاصة وصل للخاصة بحسب استعدادهم وما بينه للعارفين خاصة الخاصة وصل إلى جنسهم في علم الله وما لم يفشه بقي في حوصلته مما لا يناسبهم أو أمر بكتمه وهو المفاض على حامل الطريقة الأولى ولذا استغرب ولم يطق فهم مقامه مع إقرار كبار العارفين وتسليمهم له فتحت كل حرف من كتاب ذي الجلال مائة ألف وأربعة وعشرون ألف علم كل علم

يحير أذهان العارفين المقربين وهذا القدر هو الذي وصله صاحب الطريقة إلى قيام الساعة ويقرره في بحبوحة سكره كما يقرر العامي الواحد نصـــف الإثنين وكما يقرر أحدنا داره بما فيها بمجرد ذكرها بحيث لا يحتاج إلى تأمل في كل نازلة وقعت أو تقع وذلك فضـل الله يؤتيه من يشـــاء[67] فلا يقال لفضـــل الله ذا بكم[68] وإذا كانت العلوم منحاً إلهية فلا يستغرب أن يدخر لبعض المتأخرين ما غاب فهمه عن كثير من المتقدمين: ((**خير الأمة أولها وآخرها**))[69]، ﴿**ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ**﴾[70]، ((**الأمة كالمطر لا يدرى أولها خير أم وســطها أم آخرها**))[71]. إشـــارة ربانية نبوية فالعلماء أهل الأبحاث اللفظية إذا ســمعوا مثلاً القرويين يفهمون أنه اســم جامع كبير بفاس وفاس مثلا مدينة كبيرة معدن العلم والولاية والخيرات والصـلاح فلم يشـاهدوا فاسـا مثلا فضـلا عن الجامع فضـلا عن

---

[67] ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (4) سورة الجمعة

[68] **قل للمحاول شأوا في مدائحه * هي المواهب لم أشدد لها زيم**
ولا تقل لي بماذا نلت جيّدها * فما يقال لفضل الله ذا بكم
أبيات من قصيدة البردة للبوصيري رحمه الله تعالى.

[69] الراوي: عروة بن رويم اللخمي | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم: 4078.

[70] (40) سورة الواقعة

[71] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: ابن عبدالبر | المصدر: التمهيد | الصفحة أو الرقم: 253/20

الاســتيعاب والاســتيفاء ومثال القرآن أيضــاً من وقعت له واقعة كواقعة **الصيف ضيعت اللبن**[72] فإذا سمعه من عرف أصل التسمية والمثل عرف مضمن القضية بلا تأمل ولا تعلم وإذا سمعه من لا دراية له بأصله يفهم ظاهر اللفظ ولا ذوق له فيتكلف ضم التاء أو فتحها بحســب الصــناعة النحوية ويقع التنازع بين العلماء مثلا كل واحد يقرر مذهبه وكل مذهب صــحيح باعتبار قواعده ولذا كل قول صحيح فإذا فسره عارف بأصل الوضع تبين فساد فهمهم ووجب عليهم تخطية مذاهبهم والرجوع إلى أن المثل لا يتغير عن أصل وضعه فيذوقون سره وفهمه فكل نازلة تجاذبت فيها أقوال العلماء مثل ما قلناه وهو دليل على عدم ذوقهم جميعا ســرها فلا يذوقهم سرها إلا العارف بأصل المخدع وبباطنه فهم يطوفون عن خارج الحجرة والعارف يبين باطن المخدع لكن آراؤهم صــحيحة بحســب قواعد مذاهبهم واجتهادهم بقصــد نفع العبيد فقواعدهم

---

[72] يقال إن سيدة تزوجت من رجل غني، ولكن كلما تقدم السن بزوجها كان يزداد شحًا، وكانت تختلف معه كثيرًا لهذا السبب، حتى تطلقا، وكان وقت الطلاق في شهور الشتاء، ومن المعروف أن شهور الشتاء تزدهر فيها المراعي ويكثر فيها الخير، وتدر الماشية الحليب بكثرة. بعد الطلاق تزوجت المرأة من شاب صغير السن وجميل المظهر، ولكنه لم يكن ثريًا، وحين أتى الصيف احتاجت السيدة إلى الحليب، ولم يكن الحليب موجود لدى أحد في مكان إقامتها إلا لدى زوجها السابق، فأرسلت إليه ترجوه من أجل بعض الحليب، فصاح بها قائلًا: في الصيف ضيعت اللبن. **من أمثال العرب.**

صحيحة سالمة كلها من الزيغ وإنما أخطئوا في أن المثل لا يتغير مثلا فلما قرر العارف أصله صمموا عليه وطبقوا عليه قواعدهم على الحقيقة وعليه فلا يستنكف أحد إذا وجد أحداً أعلم منه من أن يتجرد من علمه ويتبع علمه الصحيح المطابق للواقع ويطبق عليه قواعد العلماء فإنه لا يخرج عن الضوابط العلمية فافهم فإنه نفيس ولا تجده مكتوباً مما علمناه وعليه فهذا الكتاب الغريب الجامع المانع لأنه مركب بأيدي القدم إنما يدل على تمييز الذاتين فعند الصلاة يجب عليه نظرا أن يجمع بينهما فيها فالترابية للألفاظ والخشوع والروحانية للحضور والتأمل والتذلل والتفاني والاستغراق والأدب فعلامة قبول العمل الأدب فيه والأدب الحضور فيه من وظائف الباطن وعلامة قبول العبد الأدب والأدب تجرده مما سواه من عمله ومن غيره ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾[73] أي فلتفترق الترابية والروحانية فتتوجه الترابية للأسباب العادية الترابية المناسبة لها والروحانية للأسباب العادية المناسبة لها من كتأمل والتفكر والتعقل والتحلم والتمهر والتغلغل في بحار الحقائق الربانية مع اعتقادها أن لا تأثير لكل سبب بل إنما أمرنا الله بها فامتثلنا لا غير ولا حظ لنا فيها

---

[73] (10) سورة الجمعة.

إلا مراعاة الأمر الإلهي فإذا تفرقا للأسـباب فلتعلم أن الترابية أمانة عنـد الروحـانيـة مركبـة من ســـتة وثلاثين جزءاً مثلا فترك جزءاً للترابية ليتميز به كيفية الأسباب لأن التمييز من وظائف الباطن لا الظاهر فاعلم فمن ترك منهما سببــه عــصى أمر مولاه ومن اتكل كفر فإذا وجه الذاتين لأسـبابهما بحيث لا تشـوش الروح الباطنية على الترابية ولا العكس حصــلت على كنز الامتثال لكتاب الله ثم المخاطب حقيقة الباطنية والترابية تبعاً لها في التكليف فإذا ثبتت الباطنية التي هي العقل في العرف وجب التكليف الشـرعي بطاقة الترابية من قيام مثلا وركوع وسجود وجلوس واضطجاع على أيمن ثم أيســـر ثم ظهر ثم بطن إيماء والمقصود امتثال الباطن والظاهر بطـاقته وإذا عدم العقل فقد التكليف وإن صـــح الظاهر فوظائف الظاهر امتثال الأوامر والتعرض للأرزاق بالأســباب الحلالية التي أذن فيهـا اللـه ولا يأذن الله إلا فيما فيه مصـــلحتك وعدم إذايتك لنفسك ولغيرك وهذه الحكمة مقررة في سياسة كتاب الله لتعيش في الـدنيـا والآخرة منعماً فإن آذيت نفســـك وغيرك يربك الله بما ذكره الله في كتابه ثم إن الأســـباب الحســـنة هي التي كانت في الطريقة الأولى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من فلاحة وتجارة بشـروطها وحرفة بشـروطها وما أحدث بعدهم من التعرض للأرزاق باسـتخدام الأسماء في عرفهم والروحانيين بإهلاكهم وقتل

ملوكهم بإحراقهم بأنوار الأســماء الجلالية على كيفية معلومة عندهم وكأخذ الأجرة على تناول مثل الكتف فينظر فيها فيريه الشــيطان صــوراً شــيطانية تدل على المغيبات من موت أمير وغيره كالخط لرجم الغيـب من نحو الزناتي وكرجم الغيـب بالرمـل وعلم النجوم عنـدهم وكرجم الغيـب بمثـل قرعـة الأنبيـاء عنـدهم وقرعـة الطيور وكاسـتعمال أسـماء البركة وكتغيير سكة الأمير كحَرق مثل نحاس حتى يصير مثل فضـة فيعيش بها فضة وكالتثقيف للجنين والولادة وإفساده ورميه وكالتفريق بين الأحبة وكالجمع بين الزناة وكالضمائر والخط وكل ما لم تأذن فيه حقيقة الشريعة فكل ذلك ضلال مبين لا شــك في ضـلال صـاحبه لتلبســه بمثل الكفر وذلك كله عمل الكفر بل فعل الأغمار من العاجزين القاصرين الأفهام. فالحلال بيّن والحرام بيّن والمتشــابه بينهما يجتنبه من حفظه الله بالورع ترك الشبهات خوف الوقوع في المحرمات فإذا دار له الفلك بغلة سببه فليأكل[74] بكيفية الشارع صلى الله عليه وسلم وليسبق[75] بنفسه ثم بعياله ثم بأقاربه ثم بالإفاضــة على جيرانه ((**ابدأ بمن تعول**))[76] ابدأ

---

[74] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "فالياكل".

[75] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "فاليسبق".

[76] الراوي: أبو هريرة | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم: 1253

بنفســـك ثم بمن تعول في جميع الأمور حتى في الدعاء وعليك بالاقتصاد في المعيشة بحيث لا تبذر نعم الله في معاصيه ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[77] قسم من الله بنفسه أن من شكر نعمه ليزيد له نعماً على نعم وشكر النعمة إنفاقها في طاعة الله وملاحظة سراية سيادة المنعم فيها حال التلبس بها ثم إنك لا تخلو عنها نفساً لأنك نعمة بنفســـك وأعظم النعم الحقيقية نعمة الإيجاد والإمداد ونعمة النبي صلى الله عليه وسلم ثم الشيخ المربي ثم المعلم ثم الأب ثم الأم ثم الوســـائط بينك وبين النعم كالبائع لك مثلا والمزوج لك والواهب والصـانع والتاجر وكل من باشـر نعمك حتى وصـلتك كالملائكة فاعلم أن الملائكة يتصــــرف منهم في حبة واحدة من الحب أياً كان ثلاثمائة وثلاث عشـــر ملكاً فإنك تأكل عدداً من الحبوب في كل يوم ولا بد منه وأنت تدعي الزهد من الدنيا وأنت فيها وفوقها وتميل إليها وإنما الزهد تعلق القلب بالله تعليقاً كلياً مع تعظيم نعمه الواصلة لك بالترحاب والتشريف باعتقاد أنها مهداة لك من الســـيد جل جلاله وأنت عبد يهدي لك ســـيدك ما أعظمها نعمة والشـــكر الحقيقي امتلاءُ القلب بما عند الله لا بما عندك من الخزائن لكنه على هذا من وظائف الباطن ونحن في وظائف

---

[77] (7) سورة إبراهيم.

الظاهر والشكر عليه صرف نعم الله ظاهرة وباطنة فيما أمرت به من الطاعة وطي الآية وعزتي وجلالي لئن لم تشكروا نعمي لأنزعنّ منكم نعمي ولأحرمنّكم من المزيد فالصلاة منا شكر جميع نعم الله المتعلقة ببدنه وقس عليه ولنحو هذا يدل كتاب الله فيما يتعلق بالظاهر وفيما يتعلق بالذات الترابية ظهرت الملوك والقضاة وأهل الخطط الدينية وظهرت المجتهدون ودونت الكتب الغير المحصورة من أحكام المعاملات بين العباد وهو سر اسمه جل علاه الظاهر فمضى كل زمان من زمان الهجرة 1339 فلم توضح علماءُ كل زمان من وظائف الذات الترابية إلا النزر القليل فافهم ويجب على الإنسان الكامل اللبيب لأن الخطاب مع أولي الألباب في كتاب الله أن يوجه ذاته الروحانية الباطنية إلى أسباب معاشها العادية باعتقاد أن السبب لا تأثير له إنما هو علامة الله لا غير بحيث يتجرد من كل سبب بقلبه ويجرد نتيجته من قلبه متوكلا على ما عند سيده لأنه ملك له وسببه كذلك وعلامة التوكل أن يزن الإنسان نفسه فإن وجد نفسه واثقة بما عنده من الأموال والأملاك فليعلم[78] أنه عابد لهواه وإن وجد نفسه واثقة بما عند سيده مع قطع النظر عما بيده بحيث لا ينسبه لنفسه بل لسيده

[78] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "فاليعلم".

وقلبه مفرغ من هموم المعاش لأن عبد الغنيّ لا يهتم عادة العقلاء بأمر الرزق والعبد غني بسيده لا تصح فيه الصدقة ولذا يحرم العارف والشريف الصدقة على نفسه باعتبار أنها من الخلق وأما إن رأياها من الحق فهدية حلال وجب قبولها وتناولها ولا يحل له أن يعطيها للغير إلا بإذن سيده ولا أن يزهد فيها قطعاً ((**لا غنى لي عن بركتك يا رب**))[79] فهو متوكل ولذا أمسك البعض من الأولياء عن الإعطاء إعطاء المال والجاه والأسرار منعه تعظيم النعمة عنده لأنه خص بها في حضرة الحق بعدم الإذن في المعاملة بها فإن أذن عامل بنفسه وروحه وماله وخزاناته فافهم على أن ما ذكرناه هنا من وظائف الظاهر ويصح أن يكون من وظائف الباطن باعتبار الرزق فهو على قسمين حسي للحسي للترابية ومعنوي كالعلوم للروحانية فلا تسمى الروح متوكلة حتى تتجرد من هم رزقها وهو العلم والمعرفة فالذي يجب توجيه الروح للأسباب من تأمل وتفكر فإنه عين طريق المعرفة بالله ولا عليه في غلة الأسباب لأن الاهتمام بغلة الأسباب من علامة القطع عن

---

[79] قال ﷺ: ((**بينَما أيوبُ يغتَسِلُ عُريانًا، خرَّ عليه رِجْلٌ جرادٍ من ذهبٍ، فجعَل يَحثِي في ثوبِه، فناداه ربُّه: يا أيوبُ، ألم أكُنْ أُغنيك عمَّا ترى، قال: بلى يا ربِّ، ولكن لا غنى لي عن بركتِك**)).

الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 3391.

المولى فتســـبب ولا عليـك في الغلـة فتعلّم ولا عليـك في العلم وتعرّف ولا عليـك في المعرفـة وتفقّه ولا عليك في الفقه وتربّح ولا عليك في الربح فإن الغلة من وظائف السـيادة واشـتغل بوظائفك التي هي الأسـباب واترك منازعة سـيدك في إرادته وهي المكنى عنها بالوظائف الحقية فإنه سـبق في علمه أن كل من عمل عملا متقناً يدور له الفلك بســهمه وإن لم يعمل أو عمل غير متقن فلا حظّ له في الفلك وصـمم على ما عند سـيدك في الأسـباب كلها فإن الاتّكال على الأســباب كفر أي جحود حيث نســب الرزق الإلهي لغيره من الأســباب وهو عدم شــكر النعم المعرض لزوالها فإذا وجهت ذاتك الباطنية الروح إلى أســبابها معولا على الله لا عليها بل اســتندت إلى القســم الإلهي الأزلي معرضــاً عن المعرفة وعن العلم وعن كل نتيجة الأســباب ناويا حين التلبس بها امتثال الأوامر الإلهية لا غير وهو قوله جل علاه ﴿**فَانتَشِـــرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْـلِ اللَّهِ**﴾[80] بالأسـباب التي جعلها عادة على توصيل أرزاق عبيده تغميضــا لأعينهم عن رؤية ســر القدر الإلهي وترتيباً لملكه أنه جل جلاله متوقف على الأسـباب فالأسباب في الحقيقة مثالها مثال ملك عظيم الخزائن والجنود أمر جنوده بأن من أراد

---

[80] (10) سورة الجمعة.

رزقه فليمش إلى موضع مهيء للقسم فمن مشــى له امتثل ويلاقى برزقه على يدي وسـائطه ومن اسـتنكف عن المشـــــي أو عجز كسلا يأتيه رزقه على يدي وسائطه في حضــرة الملك وهو عاص مخالف ومتهاون ومتعب وسـائطه في حضـــــرة المالك بالحمل وعتاب الملك الوسائط على عدم حضور موسوطهم ويقول لهم أنتم غير معتنين بـأمر الرعيـة ولا بـأمر الملـك واعلم أن المكلف بمئونـة بعض الرعية تدفع مئونة السيد على يده يحضــر لدى الملك دائماً عنـد التفريق للأرزاق فيكلفه بســـرد رعيته جبراً منه فإن تغيب واحد أو غاب أو أسقط يقل له الملك أين فلان المقيد في كناشك وكناشــنا وتدفع له في كل صـباح مئونته فإن كان لعذر شــرعي يجاوبه بأنه غاب عن مصـلحة الجنود مثلا ووجهه أحمر بين يدي سـيده وإن كان بلا عذر بل بتفريط يسـكت ووجهه أصـفر من شدة الحياء والخوف من التعذيب أو العزل من سيده ومنه يدخل الضرر على تارك الأسباب وهو تارك الحضور مـــثلا ويتـــضرر المكلف به غاية لمقام الأدب فيقول له المالك أنت مقصــر ومفرط في خـدمتنـا فكـأنـك لم ترد خـدمتنـا وأهملـت حق الخـدمـة فلو خدمت بنية ظاهراً وباطناً لاشـــتغلت بأمر التنظيم والتأديب فلا يتخلف عن أمرنا أحـد لكن لمـا ظهر لـك غير أمرنا فرطـت في الرعية والتقصـــير في أمر الرعية ليس بهين عندنا وأنب إلينا نتب

عنك إما أنك مقصــر أو غافل عن السياسة أو جاهل أمرها فكلها لا يصلح لنا ولا نصلح له فافهم وبه تعلم أن النبي صلى الله عليه وســلم وخلفاءه لا يحبون من ترك الأســباب العادية مما يتعلق بالظاهر والباطن ولا من عول عليها لأنه شرك صراح حيث اعتمد على غير الله وهو هلاك الأسباب فتجد العارف إذا اشتكيت إليه أمر الرزق يأمرك بالأســباب وكان صــلى الله عليه وســلم يأمر الأغنياء بالإبل والبقر مثلا والخيل ويأمر الضــعفاء بالدجاج مثلا وحرف يقدرون عليها ولا يترك أحداً يجلس بلا تســبب فهذا هو الشــيخ الكامل بحوزة حياطة التربية فإذا ترك ظاهرك الأســباب فقد عصى ظاهرك وتمجه الطباع الظواهر بحيث لا يحبه كل من كان ملتبساً بالأسباب وتكرهه الوسائط الروحانية الملكية ويكرهه الملك ورزقه المكنش في كتاب الملك من كتاب الوســائط يأتيه وإتيان الرزق بلا ســبب هو المهلك لكثير من الجاهلين فزين لهم شيطانهم ترك الأسباب بمجيء الأرزاق[81] بلا سبب مكراً منه لأن يعرضــه لشــبكة المقت من الله وأوليائه فلتفق من ســكر غفلتك وكذلك زين للغافلين التعرض للأرزاق بلا ســبب مصــوراً له الحقائق المجردة من الشــرائع فيبقى في مهواة العطب لأن الحقيقة

[81] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "الأرزق".

بلا شــريعة في حيز المحال بحســبنا وأما باعتبار الحق فهو مطلق غير مقيد بجائز ولا بواجب ولا بمحال فالمقيد بها أنت لا هو جل وعلا فـالله لا يتقيد بقيد تعرفه قيداً ولا بإطلاق تعرفه إطلاقاً بإطلاقيته جل وعلا رمزاً لما عنده ولا يعرفه إلا هو وكذا كل لفظ يشــير له إنما هو رمز يشــار له بالألســنة وكل معنى في قالب الألفاظ فإنما هو رمز لا غير وكل ما تدركه الذات الترابية والباطنية من كل خلق سوى الخليفة[82] الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو رمز حادث لحضرة السيادة لا غير وعليه فحضـرة الحق مطلقة فلا يمكن تغيرها وحضـرة الخلق مقيدة دائماً بقيود الله وكل ما برز من حضـرة المطلق مطلق فلا يقيده مخلوق بأفهامه وخياله فما سـوى الله خيال فالخطاب منه إذا توجه عامّاً يبقى على عمومه ولو قيده المجتهدون فليس من طوقهم بل يطلق لحضــــرة المخاطبين من العارفين ومن الســالكين المريدين أو من الغافلين عن المعرفة والإرادة فيوجه خطاب الشــارع إلى كل موقف من مواقف المسلمين والمومنين والمحسنين فيقيد بصنف دون صنف منهم فالخطاب مطلق في بابه والمقيد هو المخاطب لا غير فيخفى على الأكابر الأجلة الأعلام لزوم[83] تطبيق كل خطاب على كل

---

[82] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "الخلفية".

[83] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "لروم".

الأصـــناف فيتحير المجتهد وتضــطرب أقواله فيكون تطبيق إمام واحـد منهم عـدد من الأقوال في نازلـة واحـدة لملاحظـة أنوار الخطاب الإلهي من وراء الحجاب تارة ويأخذ بمقتضـى ما شاهده بقوة بصــيرتـه فإذا تلون له النور بجهة أخرى يترك مذهبه ويأخذ بمذهبه أيضـاً بسـبب التلوين وله في الخطاب الإلهي مقام باعتناء تبيين ما ظهر له من ألوان الأنوار الخطابية وهو مصــيب في قوله القديم والحادث مثلا ويجوز العمل بجميع ما أدّاه له اجتهاده ولا يقلد وجوباً غيره بل يأخذ بمقتضــى تلوين الخطاب الإلهي وهو سـبب الاختلاف ومقصـودهم خدمة الشـريعة ولذا لا يسـتنكفون من الرجوع بعد الحكم والتصـميم عليه لأنهم ما ولاهم الله وأخذهم في أدوار خطابه إلا ليكرمهم ويكرم بهم عبيده وعليه فللمجتهدين مقامات الولاية والتصريف والتربية لكن العارف إذا توجه للخطاب الشـــرعي عرف أن الخطاب من حيث هو قديم مطلق بإطلاقه جل وعلا ويفهمه مطلقاً في صـــنفه الذي نزل الخطاب له وهكذا في كل خطاب لأن كل خطاب موجه إلى جنس من الخلق يعرفه من شـــربه ويجهله من غفل عنه ولا يتكلف التطبيق على ســائر الأجناس لأنه لم ينزل لذلك وإن كان خطاب الله من حيث هو مقصود المعنى واحداً وهو الدلالة على الله لكنه يصـــرف إليه كل جنس في غابته ما يناسب غابته من الصواعق والإرهاب والإحباب

والإحراق والوعد والوعيد وتكون الصـواعق مصـحوبة بسـياسـة صاحب الشـريعة من الرمي في الغيضة جملة أو على واحد معين أو على طـائفة من الأرانب مثلا مما يزعجها ويردها بعد توحشـها إلى حضرة سياسـة صاحب الغابة والأرانب يناسبها من الخطاب ما يشـوقها ويزعجها لا غير والأسد مثلا يناسـبه[84] الصواعق العظام لعظم أمره فلا يتربى ولا يألف إلا بعد مشـقة صـاحب الشـريعة لقوته وتقذيفه بنفسه من غير مبالاة على المتحيل لتأليفه حتى يصير متأنسـاً به أن يبالغ في السـياسـة لأنه لا تأخذه الأحبال ولا يقنص غالباً إلا بأكبر الحيل مع الصبر على حرارة شهامته والتيقظ التام في أمره فيرى من كلفه الأمير به أمراً عظيماً في شـأنه ولا يدخل في شـبكة الاقتناص إلا بالسياسة والإتعاب والإحاطة به من كل وجه فلا ينفع فيه خطاب واحد بل يوسّـع الأمير الدائرة لمن كلفه في أمر السياسة والاجتهاد ويجتهد لنفسه بخَيله ورَجله[85] حتى يأخذه فإذا أخذه منعه من الخروج في حيطته السياسية ولا تنفع فيه كل

---

[84] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "يناسه".

[85] ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا**﴾ (64) سورة الإسراء. ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال إبليس، والرجل: جمع راجل، كما التجر: جمع تاجر، والصحب: جمع صاحب. تفسير الطبري.

حيلة من خوف أولا ثم قرب ثم بعد ثم قرب كذلك ثم تمنية ثم تمسح ثم تعظيم ثم تأكيل ثم تقييد بالكلية ثم رياضة ثم فراسة ثم انتفاع به ونفع بكاصطياد مثلا فالذي يناسبه من أمر الله العزائم والتضيق به والتشديد والذي يناسب الأرنب مثلا ومن دونه أو ماثله الرخص بحيث تضره العزائم والتشديد والأسد مثلا ومن ماثله في غابته ومن فوقه من الجسارة تضره الرخص وتهلكه ولا تملكه بأنواع حيلها لشدة بأسه ((**إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه**))[86] فالرخص عبادة الضعفاء من الناس وربما ينفرهم بالعزائم الغير المستدامة والقدر المضر منها الاستمرار عليها فمثل الملك بحسب ما ينفعنا وندركه ولله المثل الأعلى حضرة الحق جل وعلا ومثال المكلف بالغياهب الصيدية المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد صلى عليه في أزله صلاة قديمة مستمرة الدوام ومثال الغابة المخالفات والنفور من حضرة الحق ومثال الأرنب الضعفاء الذين نفروا ولا ضرر فيهم وقس عليه من دونها وما فوقها فإن لكل مقام مقالا يخصه ومثال السبع المريدون الوصول لحضرة الحق أو لحضرة الدنيا أو لحضرة الجنة فإن المريد يتحيل على إرادته ويقاتل عليها بكليته يقظة ومناماً في

---

[86] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 82/8.

سائر عمره ولا يقبل التوبة لأنه يعدّ نفسه من المجتهدين في طاعة الله وربما يجتهد فلم يظهر له أثر مقصوده من الإرادة لعظم حجاب الإرادة فينفلت[87] في الطريق ويحل يده من العقدة فتنسل مع الشريعة لورائه أو يسقط بالمرة فتكسر أركانه وأجزاؤه ولا يرجى برءه طول المسافة أو قربها وتوسطها فمن انسل قابضاً على الشريعة لورائه يبقى صائن الأركان غالباً لكنه فاته المقصود والساقط في أول الطريق تدعدع أركانه بلا تفريق ولا تكسير وفي وسطها ينشق وتنفك أجزاؤه بلا تكسير ويرجى برءه وعوده ثانياً مثلا وفي آخر الطريق تنكسر أجزاؤه وتنفل بسيوف قواه بحيث لا يعود في الغالب لشدة ما رآ فالمريد مثال الذيب في ظاهر المعاني لا صوف ولا حليب ولا لحم ولا جلد إلا عند من يرى حليته بلا كراهة من مذهب جنسه فهو عنده ترياق لأمراض الكلى والحمى والكبد مثلا ولكل مقام مقال والمجرد وهو العامي أو العارف مثال النعجة كلها خير عند سائر الأجناس والملل فكلها خير لأن العامي المعترف بالتقصير والذل والضعف المسرف على نفسه بهواه مع عدم الرضى على النفس خير من مريد مجتهد فمقامه قريب من العارف والأخوة بينهما في التجريد وعدم القصد وإنما

---

[87] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "فينفتل".

الفرق بينهما أن العارف مشـاهد ممتثل والعامي ضـده لا غير لكن حجابه رقيق ولذلك قرب معناه للحضـــرة الإلهية فإن تعبد بالصلاة على النبي صـــلى الله عليه وســـلم مثلاً بلا مرب تظهر له روائح القرب بأقرب مدة مع عدم نية ذلك ولم يعبد الله بأعظم من العبودة على وجه الإحسـان ثم على وجه العامية ولا يبعد عن حضرة الحق مثل الإرادة لأنها حظ عظيم أمره ومنهم ﴿**مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ**﴾[88] والخير الذي يصيبه فضل الله وإدراكه بالتجريد في وســط الإرادة والفتنة التي تصـيبه تحصـيله على غرضـه الذي تعرض له فإنه لا يرجى برؤه لاسـتحلائه ذلك بوصوله بعبادته وهو عمله المتقن لكن لغرض نفســه لا لعبادة ربه فهو يعبد به وإن كان الحق قريباً من كل أحد فـالعبـد هذا إنما يرى ظله فقط ولا يرى نور ربه فيه. فمثال أهل الطريقة الأولى مع الثانية كمثل شخص في وسـط بيت مبني بنحاس بلا باب ثم بحديد ثم برصـاص ثم بأدوار الأبنية إلى أن تصــل إلى الزجاج ثم البلور ثم ما هو أرق منه حتى تصـل مثل الهباء المجموع فأما أهل الطريقة الثانية فإنهم لم يرضـوا بذلك الســجن وقنطوا بما دهمهم من الظلام ولم يصــل إليهم نور

---

[88] (11) سورة الحج.

الشمس مثلاً وطلبوا السـراح والانفكاك من قفصهم الذي لا باب لـه ولا منفذ وقد دار به مائة ألف حائط من مختلف الماهية وكل دائر غلظه سبعون عاماً بحسب المسافة الغليظة والبيت مبني في وسـط الشمس وحرارة الشمس تصله على وجه لا يدريه فأما أهل الطريقة الثانية فإنهم لم يرضـوا بقدر الله لضـيق وظلام ما هم عليه فاسـتغاثوا بمن يغيثهم بهدم الحوائط السـورية فبين لهم المربي الذي احتموا[89] به آلة قوية أنصـالها للهدم بقوة واجتهاد وذكر قوي لإزالة السـور الأول النحاس مثلاً فاشـتغل في معظم عمره بالإزالة فإذا هدمه يبين له مربيه آلة أخرى من الأذكار مثلا وسـلوك آخر ويحرضـه على الاجتهاد وأنه إن ملّ لا يحصـل على شـيء وهكذا حتى يقطع الحجب الغليظة النفسـية فإذا وصل إلى الرقيقة تبين له لوائح الأنوار من وراء الحجب العلمية فإذا شـم روائح القرب وشم ما كان عليه أولاً في وسط السلوك يشم منه رائحة كريهة فيستقذره ويهرب من نفسـه ومن حاله ومن عمله فينقبض انقباضاً كلياً ويرجع إلى مربيه ويسـأله عن الرائحة الكريهة وعن الطيبة فيقررهما له أتم تقرير فيسـتقذر ما كان عليه من سـلوك ويحصل له الإعياء الفادح فيمسـك عن العمل بتبيين خلاف قصـده فإذا رآه مربيه قنع من

---

[89] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "احترموا".

الإرادة ومن السلوك ومن عمله ومن نفسه يقول الآن قد علمت أن الله قد أراد بك السعادة الأبدية حيث تركت جميع العلائق ورجعت إلى ربك ثم عليه اعلم أن ما كنت عليه من إزالة الأسوار ليس عبادة وإنما هو غرض من الأغراض ولا غرض مع الله ثم يجب عليك أن تتجرد مما سوى الله بحيث ترضى بقدره وتتجرد من المراتب العلمية والعملية والعرفانية وتعول على قسمة ربك بحيث تعلم أنه يستحيل أن يزيدك أو ينقصك عما كتبه بيده في كتابه أم الكتاب أي أصل الكنانيش التقديرية التصريفية الولائية فإذا وفقه الله للتجريد على حسب نصيحة المربي الحاضن الكافل له لأنه في حجره انقشعت عنه كل حجاب قهراً بلا تعمّل في الباقي له فيصبح في الشمس الضاحية فيتمتع بأنوارها ويعطى له السراح والتسريح يذهب حيث أحب ويرشد ترشيداً من ثقاف الحجر فإذا علمته علمت أنه سافر أولاً وخدم وعبد واجتهد لحظ نفسه يخرج من ظلام الحجاب وهو غير عبادة وإنما قام بنفسه لنفسه وليس من اجتهاده وعلمه رائحة أدب لأنك رأيته لم تنخرق له الحجب حتى عيي وألقى السلاح وأدركته بركة مربيه وعلمه كيفية التعبد فلما تعبّد من غير غرض أدركته عناية الله بلا سبب ولا تعمّل فهجمه الفتح الرباني فهذا كبير الطريقة الثانية ما نفعه اجتهاده لكن بركة تعظيم أمر مربيه خلصته من المهالك الحظية

هذا فمنهم من يجتهد بخرق الحجاب الأول فتبين له بريق الحجاب الثاني واتسع عليه الأمر فاستحلاه وبقي فيه وهو مسجون بالحجاب ويعتقد أنه وصل الزيادة في حاله فيزين له الشيطان مقامه ويهويه على أم دماغه ومنهم من بقي مع الثاني إلى آخر الحجب فكلما بقي مع حجاب يظهر له خلاف ما قبله من الحسن فيهلكه بزخاريفه فيجد إبليس فيه مقصوده ويستعظم أمره حتى يهلكه وكفاه هلاكاً البقاء مع غير ربه ثم إنه ربما يزيده عدوه ألا يقبل نصيحة ناصح ولو من مربيه وهو عين الهلاك فإذا قال المنصوح لناصحه انصح نفسك مثلا ومثلك ينصحني أو لمثلي يقال هذا وأنا عالم عابد مثلا فاقطع بأنه سقط من عين الله وإن مات قبل التجريد مات على غير إحسان فأنت تراه لم ينهض أولا لله ولا بالله ولا في الله ولا على الله وإنما حركه غرض نفسه لا غير فالمربي مقصوده الإرشاد بالتدريج لغلظ حجبه وهو إن كان كاملا محمدي حقيقي بحسب الإخلاص والإحسان وأما أهل الأولى لما علموا بالسجن استشاروا أول مرة مع رجل محمدي في أمرهم فأرشدهم أولا للتجريد مما سوى الله والرضى بقدر الله وبين لهم أن لكل شيء قدراً وأجلا في علم الله ويثبتهم على حب الحجاب الإلهي ويزينها لهم لأنها مراد الله وكل ما أراد الله محبوب يبصرهم أول مرة وسألوه عن أهل الثانية فاستقذر لهم ما هم عليه للاجتهاد

للحظوظ النفسية وبين لهم ما فيها من الدسائس النفسية لأن الشيطان إنما يتقوى بالنفس فيثبتهم على مراد الله فيهم وأمرهم بإخراج الدنيا والآخرة والبرزخ وكل مرتبة ولائية في قلوبهم فاستحكموه على أنفسهم لظهور نور كلامه لكل عاقل وحكموه على أنفسهم وشرط أن لا يلتفتوا[90] عن حضرته ولا يخطر خاطر فيهم إلا ويفشونه له فجعلهم في حياطته وتحت جناحه وطار بهم لمدينة الإخلاص واستقذره لهم فكل ما شاهدوه من المدن الولائية نفرهم عنه فبقوا في وسط القبض فلما رضوا وقوي نورهم بالإخلاص انهدمت الحجب في نفس واحد واحترقت بنور إيمانهم الكامل فظهرت لهم ضاحية الشمس فاشتغلوا بأنوارها وجمالها وهي عالية قاهرة لعين كل أحد بحيث لا يقدر أحد أن يحقق بصره فيها أبداً لسطوة حرارتها وقهر حسنها فلما عاينوا ما عاينوا رجعوا إلى شيخهم ويختبرونه أمر الحال الوقتي فدلهم على ملازمة العبودية وببركتها كان ما كان من غير تعريج على شيء زائد عن العبودية لحضرة السيادة فعبدوا الله حق عبادته بتعلقهم بالربوبية فتمكنوا ثم إنهم وصلوا كلهم لحضرة الشمس بلا سبب وعليه فكلهم كاملون بحيث لم يبق فيهم من تخلف مع المقامات ولا من رضي

---

[90] وردت في الطبعة الولى بدرب غلف بصيغة "يلتفوا عن".

بأمر نفسه ولم يهلك فيهم أحد فأيس الشيطان منهم في أول أمرهم وبعد نهايتهم لأنهم عمريون فإنه لا يجد نجاسته معهم من الحظوظ فسعدت الطائفة كلها أولها ووسطها ونهايتها بحيث لو اجتمعت عبادة أهل الثانية قبل التجريد ما وزنت قدر ذرة واحدة من نفس واحد من أهل الأولى لأنهم قاموا بالله لله في الله مع الله فنورهم قهر ظلام الشياطين والمراتب فتخلصوا لسيدهم فهم المخلصون ﴿**وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ**﴾[91] مخصوصون بالعناية هذا فمثل الشمس حضرة الحق وله المثل الأعلى فكلامنا وأمثالنا وعلمنا وأفهامنا ودليلنا حادث محض لا شك فيه وإنما رمزنا فيه للعقلاء لا غير فيكفي أولي الألباب ومىء بحاجب ومثل الحجب المائة ألفاً مثال حظوظ النفس التي لا تحب إلا أن تلبس رداء سيدها ومثال آلة الهدم أذكار مخصوصة لإزالة الحجب في كتب القوم كشمس المعارف وغيره وبه تعلم فضل الطريقة المحمدية فالخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع ولم يخلق الله طبيباً أعلم ولا أحذق ولا أحن ولا أعرف ولا أنفع ولا أعظم سياسة من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا فهمه المحمديون بالأصالة وخفي عن المحمديين بعد السلوك فالمحمديون بالأصالة لم يصدر منهم

---

[91] (40) سورة الواقعة.

اجتهاد لقطع الحجب فإنهم يربون بســـر أصلهم لأنهم استقذروا أن يدلوا على غير الله ولو على وجه الســـياســـة لأن ما لم يرضـــوه لأنفسهم لا يرضونه لغيرهم نفساً واحداً فضلا عن السلوك في مدة فلعله يهلك في الطريق فيموت على غير طلب الله فيعدون ذلك من أكبر الخيانة وإنما المحمديون بعد السلوك ظهر لهم أن لا تصل الناس ولا ترجع إلا بمثل ما سلكوا له فدلوا على مثل سلوكهم فنتج البعض وهلك الجل والعهدة عليهم لكنهم مجتهدون فلا إثم بل المجتهد إن أصـــاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد[92] فلما تبدل الزمان وكثرت المدعون لطريق القوم فطريق القوم هي ما كان عليه أهل الثانية وأما الأولى فلا يقال لها عرفاً طريق القوم أدبًا مع صاحبها صلى الله عليه وسلم فإنه الآن صلى الله عليه وسلم اجتهد أتم اجتهاد في تحرير هذه الطريقة المحمدية فظهرت أنواره وتجلياته في قلوب أهلها واســتغنوا بطلعته صــلى الله عليه وســلم عن كل حســـن ولذيذ وعن كل مقام وحال فلم يكن فيهم أحد إلا ويربيه بنوره وربما يكشـــف له النقاب ويزيله معاينة اندرســـت مراســمها حتى رجعت أهل الثانية إلى الأولى لصــفاء مشــربها لأنه نبوي لهذا وعليه فيجب عليك أن ترضـــى بحكم ربك وهو إتقان

---

[92] الراوي: أبو هريرة | المحدث: النسائي | المصدر: صحيح النسائي | الصفحة أو الرقم 10431.

الوجهة فإذا أتقنت رحمك الله بلذيذ جماله بلا قصد منك ثم أهل الأولى لم يتقدم لهم سفر ولا إرادة لأن الله هو الظاهر في ظواهرهم وفي ظواهر الأزمان والأمكنة وهو الباطن في باطنهم وفي باطن كل زمان ومكان فالسفر عليه إلى أين وإنما نظروا بنور إيمانهم فشاهد ظاهرهم من المحسوسات فعل الله فيهم ولا يتبركون إلا به ولا يأكلون أو يشربون أو يناكحون إلا محاسن نور فعله فكمل ظاهرهم بالله وشاهد باطنهم سر البواطن الإلهية بلا قصد ولا سفر ولا اجتهاد لله وإن كانوا هم المجتهدين في مرضاة ربهم ولم يبلغ أهل الثانية بجميع ما عندهم من القوة والعبادة قبل التجريد اجتهاد سويعة واحدة من أهل الأولى لأنهم اجتهدوا بربهم لربهم وما كان لله لا يزنه ما كان بالنفس فافهم وعليك بما سنه صاحب الوحي صلى الله عليه وسلم من الإحسان ثم اعلم أن الإسلام والإيمان والإحسان حقيقة واحدة عند أهل الأولى فيكفيه فهمه إن أسلم وانقاد بظاهره فقط فهو منافق وإن أسلم وأذعن لقبول الأحكام فهو الإيمان في الثانية وإن أسلم وأذعن واطمأن ونشط وفني بشكر حلاوته فهو إحسان في الثانية وإن صدق بقلبه بوجود الله فهو مومن مسلم في الثانية وإن آمن واطمأن بجمال سيده لذوق المعاينة فهو مسلم مومن محسن في الثانية على مقتضى عرفهم وعليه فحقائقها حقيقة واحدة عند العارفين لأن

الـدين دين واحد والملة ملة واحدة وإنما يكون الميز بنيات الرجال لا غير والتفاوت ليس بالدين لأنه واحد وإنما يكون بحســب ذوق السـرائر ومثل أهل الثانية التي أحدثت للسـلوك مثل من زاد في مطمورة مظلمة ضيقة قبيحة الحال فإنه يجب عليه بحسب الذوق الإيماني أن يســتغيث بمن يغيثه في الضـيق لأن الله جل علاه نصب أولياءه مثل العبيد حجاب الملك قاهر الحسـن والإحسـان وعظم مناصـبهم بإدخال الواردين القادمين لحضـرة الملك فتكون الحظوة بحســب قدر القادمين به الواصـلين لأن الملك يحب أن يصـل كل أحد من مملكته وإنما احتجب بعظمة ملكه ليلا يمتهن جانبه فنصب من يرشـد له ومن يقطع الطرق بفضله اختباراً لأهل دولته فلما اســتغاث بعض من بالمطمورة من يغيثني من هـذا الضيق بنداءٍ صريح مظهر قلق صدره بما نابه تسارعت إليه عبيد الحضـرة فأنزل إليه من سـبق له حبلا متيناً يسـتدركه به بعد أن شـرط شـروطاً بعدم التراخي في الطريق وعدم الرجوع يقول فإن أحببت الطلوع إلينا ولابد من الصـبر على حرارة الحبل وحرارة فراق إخوتك فإن تراخيت بحيث لم تمكن يدك من الحبل على كيفية المتطلعين من المهواة فإنك تهلك نفسـك فإذا قام بنهضـة وترك الراحة وألفة إخوته في المطمورة انجذب بمغناطيس الواقف عليه مع بركة الحبل مع تمكنه من الحبل تمكناً لا يقبل الفشـل ثم

إن المتمســكين بالحبل على قســمين منهم من تمســك بالحبل تمســكاً قوياً فلما رآه مقابله اجتهد في أمر الطلوع ولو الموت دونه جذبه هو بقوته على ســبيل الجذب والخطف بلا مشــقة لقوة اجتهاده فلم يشعر حتى أوقفه شيخه على بسيطة البراح فلم يحس بمشقة السفر إلا ما حصل له من الدوخة بقوة شدة الجذب فيبقى زمناً مغمي عليه ثم يفيق وهو في حضرة الشمس ويقول له ها أنت ومرادك بلا حركة منك بل ببركتنا وبركة حســن ابتدائك لأن حســن الابتداء يدل على حســن الانتهاء ومنهم من يقبض على الحبل بالفشــل تارة يقبضــه وتارة ينســلخ عنه وهو في صــورة اللاعب والمدلي له يحضضــه على القبض ليســلم ويشــتغل بغيره فتارة يمتثل ويأخذه ويســترســل به الحبل إلى أجمات المطمورة فوق رأس القاعدين الراضــين بمقامهم وهم يضــحكون عليه لفشــله ويفرون منه مخافة الســقوط عليهم معتقدين أنه يســقط ولو بعد حين وعلم المدلي أنه إن جذبه بقوة وهو لم يأخذ بجد ينســلخ بالكلية ويتكسر ويهلك من معه من العامة فيتحير في أمره ويشفق عليه ولا يجد له سبيلا وليس هو من العامة أهل السلامة ولا من المريدين أهل الجد ولا يزال يحرضه على التمسك وهو أيضاً في حيرة بين الخوف فيتمنى لو بقي مع إخوته فيضــحك عليه كل من رآه غير مبد له الحنين عليه فإذا تمســك بعده بقوة وصــبر لحرارة

الحبل وقصر طرفه على الحبل ومدليه وصار لا ينظر إلا إلى أمامه فوق فإنه يأخذ الحبل بكليته بأسنان وركب وأصابع الرجلين وبجميع ما عنده وقطع النظر عن إخوته في السفل بحيث لا يحب الرجوع إليهم ولا يجاوبهم بل عد النظر إليهم معصية وتاب من كلامهم ومخالطتهم وصبر لأذاهم بأنواع الضحك والكلام الفحش وعلم أن الحق لهم لأنه متراخ في السلوك طلع لحضرة البسيطة والشمس ولو بعد حين فمن وصل لا يضره ما أصابه في الطريق ولو تراخى فيها ومنهم من حصل له ملل فانسل مع الحبل ولم يتكسر به بقي سالماً مع فادح المشقة ومنهم من مل فسقط على أم رأسه فهلك كل الهلاك لا يرجى برؤه وهو الكثير في طائفة المريدين وعبد الحضرة يقنع بواحد إن أوصله ولو في جميع عمره ولا عليه فيمن سقط لأنه أسقط نفسه بها فمثال حضرة الملك حضرة الله جل جلاله عما يدرك بالعقل ومثال العبد الشيخ المربي ﴿**إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ**﴾[93] ومثال الحبل حضرة الشريعة ومثال المتمسك بنية الطلوع المريد[94] ومثال الطلوع الفتح ومثال الجالسين الراضين بمقامهم العامة فهم إخوة الطريقة الأولى ومثال

---

[93] (47) سورة سبأ.

[94] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "ومثال المتمسك بنية الطلوع ومثال الطلوع الفتح".

الضـيق السـجن بالحجاب ومثال الظلام ظلام قلوبهم ومحنها وأما أهل الأولى فلما قيض لهم الحق بفضـــله بلا طلب من يدلهم عليه فصـار الدال هو الطالب كطلب النبي صـلى الله عليه وسـلم قومه بالإسلام بإذن من الله وقوة منه واجتهاد وقومه في مطمورة العامية فكذلك الشـــيخ المربي في الأولى منزل منزلته في كونه كلفه النبي صـلى الله عليه وســلم بأمته وهو الخادم لها وهي في غفلتها ونومها فصـار الشـيخ عندهم يرشدهم إلى الله بمثل النبي صلى الله عليه وســـلم وزين لهم تجليات الحق بحجاب أو فتح فكل ما تجلى به عليهم وجبـت محبتـه لأنـه الملـك الحق وزين لهم العكوف على أعتاب العبودية بلا تأمل ولا مشـــقة وبين لهم أن هذا مراد الله لا محيد عنه وإنما يحب طاعة الملك في كل الأحيان وشـــكر نعمه ظاهرة وباطنة وأن الملك هو الذي أدرى بمصـالح عباده فجردهم من الأكوان وقال لهم إن هذه المطمورة ليســت قاهرة لأنوار الملك وإنما قهرت بصائركم وأبصاركم لا غير فعن قليل إن صفت سرائركم وتمسكتم بأمره ونهيه على وجه الامتثال لأمره وعلى وجه الشوق له وعلى وجه العظمة منه تشاهدونه على وجه السلوك بل يجب عقلا وشـرعاً وطبعاً الرضى بمراده فإن أرادكم يتجلى لكم في أي موضع فلم تقهره الأكوان فلما عزموا وفهموا مقتضـــى إشارته مصحوبة ببركة ســر المربي بالله لا بنفســه معولا على ما عند ســيده من أن من

أراد للمباسطة والمقابضة يحركه له فهو بين أصابعه والعبيد كلهم صائرون لحضرة نوره به بحسب علمه القديم لا بحسب ما يعقل فلما رآ الحق صفاءهم وقبول رأي شيخهم بحيث لا ينتقلون عما قرره شيخهم غرقى بسكر حلاوة كلامه لما معه من جلال وجمال الله فأزال غيراً وغيرية في قلوبهم مع الثبات لصولة حضرة الملك ومن جملة الغير المطمورة زالت بقلوبهم وزالت عن أبدانهم فبقوا في حضرة الملك منعمين مع حضرة شيخهم مقبوضين بقبضة يده مشمولين في حجر النبي صلى الله عليه وسلم والنبي في حضرة الله دائماً فينظرون بأعين النبي صلى الله عليه وسلم وبزجاجته وبقلبه وبدينه وبتوحيده وصاروا عين جزء من أجزاء شيخهم لحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فالفقير في الأولى يجب عليه أن يستحضر أنه في قبضة يد شيخه محوط بحياطة أصابعه قابضاً عليه كل القبض فلا يتركهم للإرادة تلعب بهم فضلا عن المراد وآثاراته فهو عائش عيشاً رغداً في كنفه محفوفاً برعايته بحيث لا يترك أحداً يمشي ويتردد لأهل الثانية لأنهم يفسدون بكثرة المخالطة طوياتهم أو يقع التشاجر والمراء فكل واحد يحب أن ينصر مذهب شيخه فهو عين الإدبار عن الله والركون إلى الله لنفس وهو سر منع الزيارة في الطريقة الأولى بإذن نبوي فهمه من

فهمه وجهله من جهله فكل من جهل شـيئاً عاداه[95] ويد الشـيخ مقبوضـة عليه بقوة بحيث لو تمالأت الصـبيان على فتحها ما اسـتطاعوا والصـبيان عندهم أهل الثانية قبل التجريد والشـيخ محوط بحياطة صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فالفقير عليه في ثلاث حضـرات حضـرة القبض وحضـرة الحجر والحجر وصـاحبه في معاينة الله دائماً وهو الظاهر في الحضـرات كلها والباطن فيها فالحضـرات ولايات مختلفات الأحوال والمقامات والفوائد والأسـرار بحسـب ما تقتضـيه حكمة الحاكم من الله جل وعلا والفقير من حيث هو على الحقيقة إنما هو متبع رسـوم الأولى لأنه من افتقر قلبه مما سـوى الله أي تجرد من الغير والغيرية وأعظم الغير الإرادة فلا يناسب هذا اللفظ إلا المحمديون بالأصالة أو بعد السـلوك حال التجريد فالمريد لا يناسـب الطريقة الأولى وكذا كثير من الاصـطلاحات القومية محلها الثانية لا غير ولا يناسـب منها أهل الأولى إلا ما رمز إليه كبارها المربون فيما يتعلق بالفناء في حضـرة الله وبالصحو وحاله ولا يناسبها رمز المشتاقين لأنهم غلبهم الحال وأهل الأولى غلبوا حالهم ولا ما يتعلق بالمكونات لأنهم معرضـون عنها ولا بما يتعلق بالإرادة والمريدين من أذواق

---

[95] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "عداه".

المقامات والمواقف فإنهم اصــطلحوا[96] على رموز بأذواقهم ليلا يعرفهم داخل فيهم وأهل الأولى يســتوي عندهم العاكف والبادي لأنهم ما ظهروا برسـوم الأسـرار والولايات وإنما هم عامة صـفت بواطنهم بالله فنطقت بالله قهراً وفعلت بالله قهراً وصمتت بالله قهراً بلا قصد فإذا حركهم تحركوا من غير مراعاة سياسة الدخيل وغيره بل كل واحد ما خلقه الله إلا لإتقان الوجهة إليه عرفه من عرفه فأتقن بالله وجهله من جهله فمال لغيره من أنواع الإرادات ولم يعلموا أن الله هو المريد لا غير المومن لا غير ولم يكن مومناً بنفســه فالله هو الفاتح باب الإيمان وهو المومن وغيره فمن يدعي الإيمان إنما ظهر فيه سر اسمه والله هو المحسن لا غير وكل ما ظهر بصفة الإحسان ليس هو المحسن فإنما تجلت فيه صفة اسمه وقس عليه جميع مظاهر الأســماء فعليك بالعكوف على أعتاب العبودة والعبودية والعبادة فإن الحق أفصــح جل جلاله ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[97] مشـتق من العبادة والعبودية والعبودة فإن علمت ما استحسنت الشـريعة فانسـبه لله أدباً وإن علمت ما استقذرته الشــريعة بما فيه من حضرتك فانسبه لنفسك أدبا وفي الحقيقة هو الظاهر هو الباطن لكن لابد من ســجاف

---

[96] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "اصطلموا".

[97] (56) سورة الذاريات.

الشـــريعة فإن الحقائق الثلاث حقيقة الشـــريعة وحقيقة الطريقة وحقيقة الحقيقة حقيقة واحدة فالحقيقة مخدع لا منفذ له إلا الحجرة والحجرة لا باب لها إلا الخوخة فمثال الشـــريعة مثلا باب خوخة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات كل مومن كما أن حضرة النبي أم كل مومن وهو لحضـــرة الله جل علاه بحيث لا يدخل إلى الحجرة إلا منه ولا يفتح الباب إلا بإذن صاحب الحجرة لمقام الاحترام ﴿**وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾[98] وأبوابها الإذن من ربها فإذا رأيت باباً مســـدوداً للحجرة وعرفت أمك فيها أصـــل طورك معظمة بحجاب العز النبوي وقمت إلى الباب يفتح لمقام النبوة والشـــفقة والرحمة والرأفة فإذا أدخلت انتقلت إلى المخدع الذي هو البيت فيه تبقى فيها فإذا آنست لمحاسن الحجرة واطمأننت بها ظهرت لك الأم المشـــفقة في البيت فإذا قمت فيها تجدها على منصـــتها مهيئة لمقام النبوة وهي المقصـــودة بالذات لا الحجرة ولا الباب فإذا كنت في البيت ظهرت لك الحجرة والخوخة والمسـجد وإذا كنت بالمسـجد وأردت الدخول للبيت بلا باب فهو من قبيل المحال العادي وإذا كنت في الحجرة يظهر المســـجد بفتح الباب والبيت وعليه فالشـــريعة أم الحقيقة والطرائق فمن دخل فيها وقام

---

[98] (189) سورة البقرة.

بجد يصل إلى ما بعدها من الطريقة والحقيقة وإذا كان خارجاً عن الشريعة وطلب الطريقة والحقيقة بلا شريعة فهو زندقة بنت النفاق أرذال الكفر وعليك برسم الشريعة فمن ترك منها حرفاً عوقب عليه بظلمة ما يناسبه من قبله وربما يدخل الشيطان لبعض المريدين بحيث يكرهه مجلس الفقه وهو جاهل ويحسن له الحقائق وكتبها ويستثقل كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب العلماء ويستحلي له اصطلاحات القوم والتشوق لكلامهم بلا ذوق وهو وهم فاحش فاعلم أن ما ذكره العارفون من أذواقهم ما ذكر ولا كتب ليقرأ ولا ليعرف لأنه عمره لا يعرف إلا بالفتح فكل ما توقف على الفتح فالفتح يقوم مقامه بلا اصطلاح وإنما دونوه ترويحاً لبواطنهم وإيقاظاً لأمثالهم في التوله بذوق حضرة الملك الحق ويفسرون ما يفسرون من السنة بالوهب لأمثالهم له أهله لا أنهم عرضوه للعلماء بالرسوم فإنهم بمعزل عنه وعليه فذهب الإبريز إنما وضع للكاملين من العارفين ترويحاً لهممهم وتلذذاً لمكان بواطنهم على سبيل إذاقة الجيران وإن كان عندهم مثله فيقبله الجار مصحوباً بالدعاء والهدية له ويعرف أن شأن الجار أن يجيره وكل واحد منهما يفيض على صاحبه ويتساجلان بدلاء موائد الإكرام وأما العالم والعارف فلا نسبة بينهما في الجوار لأن العالم ظاهر بنفسه باعتقاده وإن كان يقول بلسانه خلافه والعارف ظهر

بالله فشــتان ما بين أنوار الله وظلام النفس وعليه فكلام العارف لا يعرفه العالم قطعاً إلا من جهة صــنعة علمه العربية والعربية في كلام العارف إنما هي واد من أودية بحوره فلا يصل العالم بصنعة علمه إلا جزءً واحداً من أجزاء الأودية ولا مطمع له في معرفة الأودية كلها فضــلا عن الإحاطة بقعر بحوره فافهم ولا تكن ممن اغتر بجواهر كنوز أذواقهم فإنك لا تصــلها إلا إن دخلت من باب بيوتهم بإذنهم والعلم بالمشــافهة وأفواه الرجال لا من الكتب وإنما يعرفه في الكتب من ذاقه من الرجال مشــافهة ولا يطالع العارف كتب القوم بالاستفادة بل لقبول هدية إذاقة الجيران ولا تدخل إلى مخدعهم إلا بالفناء عن نفســك ((**يا داوود خل نفســك وتعال**)) فالعالم له مقام كبير في بابه وهو أكثر الناس تبعاً وعملا ومئونة لكن إن تعلق ورضي ببعض العارفين ينجذب ويزف في مدة لحظة ويصــير من أهل الحقائق وإنما عظم حجابه بالعلم إن تجمد عليه أبداً ولم يتعلق بالعلماء بالله فإن كنت ذا بصيرة يغنيك كلامنا عن دلالة دليل وحكمة حكيم لأنه ﴿**مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾[99] فأبواب الله مفتوحة على يد صاحب الفتح الختم صاحب الجنة مهيئة لمن أراده الله في علمه وأقدره بقدرته وإياك من رؤية النفس في

---

[99] (6) سورة النمل.

المواقف كلها وملاحظة الحظوظ في كل حال من الأحوال فإن غيم الحظوظ يحول بين المرء وبين حضرة شيخه وحضـــرة نبيه وحضرة ربه وهو المراد الذي يشكك هل يصل إلى مقصوده أم لا فيكون صـــاحبه متردداً في أمر الرزق تبعاً لإبليس الذي يقول بوسوسته وإياك أن تثق بضمانة الحق جل جلاله فتركنت البواطن له وهو بنفســـه إنما لعنه الله بحظه معه وهو عارف مقام ربه وهو مريد قبل الطرد فلما تحير رجع إلى أصل إرادته وأهلكته من حيث أهلكت من بعده فعليك بالبعد منها فإنها كعبة شـرور واستمسك بما قواك الله من الاستعانة به لا بنفسك ومن العبادة به لا بنفسك ومن الهداية به لا بنفســك ومن الثبات في الطريق به لا بنفســك كما أوجدك بقدرته لا بنفســـك وكما رزقك في البطن به لا بك وكما ابتلى والديك بمحبتك ليقبلا عن أطوار طفوليتك به لا بك حتى كبرت به لا بك ووفقك للإســـلام به لا بك وبعده تدعي السفر بنفسك وبقوتك فكن كالجنين في البطن تكن عارفاً وكالولد يوم الزيادة تكن عارفاً وكن كالفاس المعرض للحكم الإلهية في كونك ميتاً حياً غير مريد وإنما هو معرض للحكم تكن عارفاً فإذا عرفت نفسك بضعفها وعجزها وذلها وجميع النقائص البشــرية تعرف ربك بالملك والعز والقهر وبالكمال الذاتي فاعرف أن كل كمال لله لا حظ فيه للعبد وإذا ظهر كمال في بعض العبيد فإنما ظهر فيه كمال

سـيده وليس ذاتياً ومعنى قولك الحمد لله الكمال الذاتي الأصـلي له وكل من عنده نوع كمال إنما هو طارئ بإفضـال سـيده الله لا بعمل ولا تعمّل أياً كان وإنما شرعت الأسباب للحجاب لا للرزق فالرزق من يد الله يأتي بلا سبب والسبب تعمّل العبد أمر ربه لا غير فكل ما ظهر مما وصله العبد بسببه لا تعمّل له فيه فإذا فهمته اتضح لك معنى نقطة الوحدة التي هي عين اتحاد الفعل والوصف فلا ترى لشـيءٍ من نفسك وغيرها عملا وإنما ترى له استعمالا فتقصّـر نظرك على عين الوحدة فتنشـتغل بما أمرت به مباشـرة مشاهداً فعل سيدك وشاهداً فعلك وعليه فاعلم أن الله أحد وتر وربك ملكه من شفع بحسب الظهور وركبك أنت من شفع سوى أمر جامع لسـراية جميع ذاتك وهو القبل والدبر وإنما أفردا لاجتماع سر البدن فيهما ولا يطيقه إلا بركة الفرد ثم إن الفرج لهذا عظيم بحيث تعظيمه لا اسـتقذاره كما يسـرع للطباع إنما أمر الله بستره تعظيماً كتعظيم امرأة حسنة بوجوب تغطية بدنها وليس في بني آدم موضـع مسـتقذر إن اتقى الله ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[100] فالخطاب سـار في جميع الأجزاء وإذا تمهد علمت أنه فتح لك عينين أمرك بإغضائهما عن مساوئ المومن وأمرك بغضهما

---

[100] (13) سورة الحجرات.

وجوباً عند المحرمات من النساء الأجانب والشبان ذوي الأرداف ولو كنت ما كنت لأن البركة مع الشريعة لأنها سبب شرعي وجب فعله وإلا يدر لك الفلك بموافق ضده من الغضب إن لم تفعل ما أمرك به الشارع فقد نزعت يدك من الأسباب وهو معرض للمقت فمن ترك حرفاً من الشريعة لابد أن يظلم باطنه حتى يستلذ الظلام من الجهل والمعاصي ثم الكفر فمأمورات الشريعة إنما هي سبب وترك السبب معصية والاتكال عليها كفر ولا تهمل غض طرفك عند أبواب الناس ولا في النظر جهة سطوحهم ولا عند التعليم في المكتب فإن إزالة قشر الشريعة ليس بهيّن ثم أمرك أن تفتح عيناً تشاهد بها فعل ربك وعيناً تشاهد بها فعل نفسك بالمباشرة فالمزية لفعل سيدك فإن خالفت تركت السبب الذي هو عين المعصية وأزلت قشر الشريعة فإنك إن رأيت فعل ربك فقط وغلب عليك شهود فعل الله قبل الأوان فإنك أسقطت بالملازم في حكم التكليف الذي لا يسقط لأنه حكم جرى بأن تقول مثلا عند المعصية فالفاعل هو الله ونسبته للفحش ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ**﴾[101] وإن رأيت فعل نفسك فقط فقد ادعيت الخروج عن

---

[101] (90) سورة النحل.

ملك الله والشـــــرك معه والضد بلزوم تعدد الفعال وليس بطريق
واعلم أن الملك له أن يكلفك بالمحال مما لا طاقة لك به بأن
يكلفك بحمل الجبل العظيم وحدك أو بالخروج تحت الســـماء
مثلا وله أن يعذبك إن خالفت أمره من غير حاكم يحكم عليه لأنه
المالك وله أن يقول لك افعل فإذا فعلت يعذبك عليه غير ظالم
لأنه تصرف في ملكه لكنه لم يكلفك فضلا منه فإذا فهمته علمت
أن المطلوب منك الأدب في حال التلبس بالفعل وبعده ففي حال
التلبس به إن كان حســـناً تشـــاهده كله من الله وإن كان قبيحاً
بمخالفة أمر الله ولا حسن إلا ما حسن الشــــرع ولا قبح إلا ما
قبحه الشـــــرع ولا عقل لأحد يميز به بين الحسن والقبيح إلا ما
اكتسب من نور الشريعة وإلا لزم عدم الاحتياج للشـــرائع والأنبياء
ومؤاخذة غير الرسل إليهم ولم تنزل الشـــــريعة به بل بضده وهو
إرســـال الأنبياء وعدم المؤاخذة قبل الإرســـال وقبل تبيين الحجة
وكيفية الأدب فيه فهو ما وقع لبعض الملوك بأنه خص بعض عبيده
بعين الإجلال تفضيلا له على أركان أحرار دولته فسأله كبير دولته
عنه لأنه خرق لعوائد الملوك فأخرج درة نفيســـة فأعطاها لوزيره
وأمره بكسرها فقال المصلحة عدم الكسر لنفاستها ولغيره كذلك
وأعطاها لمملوكه الملحوظ فأمره بكسرها فكسرها بالمرة وزجـــره
سيده عن الكسر فأجاب يا سيدي ظلمت نفسي عمري لا أكسر

فقال الملك للوزير فهل رأيت سبب التفضيل بل الإيثار أنك أمرتك بالكسر فعصيت وأفتيت لي رأياً أتبعه وهو مصلحة بقائها والملك لا يحب من يرد عليه كلاماً وهذا عينه وهو سوء أدب وعصيت أمر الملك بعدم الكسر فالمعصية عين الهلاك لا سيما في حضرة الملوك وهو سوء أدب والإنسان لا يحب إلا بأدبه لا بعلمه فيترتب عليك وعلى الحاضرين غضب الملك لكنه خففه عليك غفلتك عن الأدب والغفلة من الجهل والجهل لا يصلح لحضرة الملك فلولا فضلي عليك ورحمتي لمحوتك بسوء أدبك من ديوان سياسة الملك فالعبد أمرته أولا فامتثل بأدبه حضرة الملك فزجرته غير ظالم له لأنه ملكي عن الكسر فتضرع ونسبه لنفسه لا لأمري فلو أخرجت له بعد درة لكسرها بالإشارة فضلا عن التصريح لأدبه ولو زجرته عن كل واحدة لنسبه لنفسه وتضرع وهو شأن العبيد مع سيدهم فالأدب يكبر المملوك وسوء الأدب يصغر الكبير بعلمه وجاهه وماله فمثال الملك الحق جل وعلا وله المثل الأعلى ومثال العبد عبد الله مقصود الله فيه الأدب فإذا عمل حسناً نسبه لربه ولا يرى نفسه أهلا له بل إفضال منه ولا يترصد ثواباً عنه فهذا هو الأدب وإذا عمل سيئاً نسبه لنفسه بحيث يرى عين فعل المباشرة لا غير ويرى نقصان نفسه وأنه يلحقه غضب سيده إن لم يتفضل عليه فيرجع لسيده بالأدب

والبكاء والتضرع والخوف فيرى ذنبه كجبل ساقط عليه ولا محيد له تحته فإنه إن شخصه كالجبل يعينه[102] على الاضطرار لسيده بحيث لا يرى منقذاً له من الجبل إلا إن حنّ له وعليه سيده ورقّ بالصفح وإن استصغر الذنب يعينه على هلاك نفسه لعدم شهود عظمته فإن جرى لك قدر فاحمد الله الذي وفقك له لولاه ما اهتديت له وإن جرى عليك القلم فاخضع لربك وتأدب معه وانسب العمل لك ((**المومن يرى ذنوبه كجبل والمنافق يرى ذنوبه كذباب والمومن يرى حسناته كذباب والمنافق يرى حسناته كجبل**))[103] وليس المقصود فيك ألا تعصيه بل عين الأدب السابق فلا ترى لنفسك حولا ولا قوة وإنما ترى في المعصية فعل المباشرة لا غير ففي الحسنة تفتح العين التي لا تنظر إلا فعله وفي المعصية تفتح عينك التي لا تنظر إلا فعل نفسك والعبرة بأدب البواطن وإنما يظهر أثره في الظواهر فهذا كيفية المعاملة مع سيدك وهو أن تعامله بالأدب حال العمل وبعده فإنه إن عملت حسناً ونسبته له وعملت سيئاً ونسبته لنفسك يقل لسان فضله جل وعلا فعلت يا عبدي حسناً ونسبته لي وعملت سيئاً ونسبته لك

---

[102] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "بعينه".

[103] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6308.

فهذا أدب عظيم فقد بدلت لك به سيئك حسناً ﴿**فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾[104] ولا ترد تبديلا ولا غيره ولا تبغ إلا ما كتب في رسمك في عنقك فإن النطفة إذا وقعت في الرحم يقابلها الملك الموكل بها حراسة فيقول على سبيل طلب العلم لا غير يا رب نطفة فيقابلها أربعين يوماً حتى تستحيل علقة فيقول يا رب علقة فيراقبها مثله فتستحيل مضغة فيقول يا رب مضغة فيراقبها مثله فتستحيل مخلّقة أي مفصلة الأعضاء والعروق والأجزاء فيقول يا رب ما رزقه ما أجله ما مصائبه أذكر أم أنثى فيعلم من قبل الله جل وعلا جميع ما تعلق بأمره فكما يستحيل أن يبدل ما علم الله أنه ذكر فكذلك لا يبدل ما في علم الله الذي علمه الملك من تقادير رزقه وأجله فيكتب الملك جميعه في رسم ويطبعه بخاتم القدر الإلهي فيعلقه في عنق الجنين وهو في بطن أمه فيصحبه الرسم إلى قبره بحيث لا يتبدل شيء منه ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾[105] ﴿**مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ**﴾[106] ثم إن الرسم يكتب على حسب اللوح المحفوظ أي رسم تقادير جميع ما كان وما يكون في علم الله على حسب المشيئة الأزلية فاعلم أن الألواح

---

[104] (70) سورة الفرقان.

[105] (13) سورة الإسراء.

[106] (29) سورة ق.

متعددة بتعدد النسخ أم الألواح فأما أم الكتاب أصلها فلا تقبل تبديلا ولا تعليق فيها ولا يطلع عليها إلا من اختصه الله بمحبته وهو نادر والحكم للجل وألواح مختلفة الرقم والشروط متباينة المباني فلا يفهم مطابقتها مع الأصل إلا من رسخ في العلم المومنون بعلم الغيب وبمقتضى الأصل يخبر جبريل عليه السلام جنس الملائكة بأمر الله بما علمه الله إسرافيل وهو شيخه فيه وهو الذي حفظ من الشيطان بالشهب ببركة أهل الوحي لئلا يلتبس الوحي بغيره والألواح المتباينة يطلع بعض العارفين كرامة له ليزيد في علمه بقوة تجليات الأسماء ويركن إلى صحبته وربما يتخلف وهو الكثير لأنه مكتوب بشروط متعلقة بالأعمال موافقة للشريعة المطهرة فعمره مثلا ثلاثون فإن وصل رحمه فستون وإن تصدق كذلك وقس سائر المروي فيه عليه والألواح مكتوبة بخط غير معروف بالصناعة إنما يدرك بالفتح والفتح علق بحساب الزجاجات فمن صفت زجاجته من الحظوظ العاجلية والآجلية صح فتحه ومن اجتهد مع الحظوظ يظهر له فتح في صورة برق تارة تنضبط فوائده وتارة لا وهو في نفسه صحيح مستقيم لكن غيرته الزجاجة كمن أبردت عينه فيرى صورة واحدة صوراً متعددة فإذا أخبر بأمر يقع فيه اختلال وبعض صدق فيجب على الإنسان ألا يخبر بمرءى حتى يحققه ولا يتحقق له حتى يجرد نفسه من الحظ فإذا تجرد

منه وأريد به له الفتح يضبط الحقائق الملكوتية والملكية فإذا تحقق عيي لسانه عن الإشارة فضلا عن النطق فالأدب السكوت وسوءه النطق وهو فتنة على نفسه والناس يسيء الظنون بأولياء الله عند التخلف ويسوء ظنه بالله فإذا علمته تعتقد أن العلم كله لسيدك وأن علمك شيءٌ هباء لا أصل له فكن مثله أي مثل هبائية علمك وعملك وافن عن العلم والعمل واثبت في حقيقة ربك ونزهه بما تعلمه فعلمه بخلاف علمك وولايته بخلاف ولايتك فولايته عليك وعلى غيرك أصلية وولايتك حادثة لها حكم الحدوث والعرض والعرضي لازمه الانتقال واجمد جموداً كلياً فأنت عبد وإن علمت وعلمت فحد العبد أن كان مملوكاً لا مزية له إلا باعتبار نسبته لسيده فإن كان ولابد من الإرادة فأرد سيدك وسيدك معك دائماً أبداً بذاته فتأدب لحضرة السيادة ولا تعترض عليه فيما تعلق بك وبغيرك فإنه النافذ حكمه في أجزاء ملكه من غير مبالاة بك وبغيرك فاصمت وكن من الشاكرين لمقام العبودية ولا تتشوف إلى ما ليس لك من شئون السيادة وإن ولاك فولايتك غير معتبرة بل تولية العبد على نفسه فإن خانها بسوء الأدب مع سيدها يرمى[107] بنكال العزل والتعزير ولا تثق بحالة ولا تمل لغير فعل سيدك ولا

---

[107] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "يرم".

تعترض لرياســـة من أبناء جنســـك فإنه وإن ولاك عليهم فولايته عليك راقبة وعينه لك شـاهدة فأحب كل من ولاه سـيدك عليك أو ولاك عليه فإنك مسئول عن الأنفاس واجعل حضـــرة سيدك جنتك وأنت فيها حاضراً معه أو غائباً فإن حضـرت فبه وإن غبت عنه فبه بسـوء طويتك فسـراية قدره فيك وفي غيرك فشـم رائحة الإقبال على مولاك واســتقذر رائحة الإدبار عنه فإنه نجس محض فكل ما حكم الله به في كتابه بنجاسـته إنما هو روائح الإدبار عنه وليســت أعيان العالم بنجسـة إلا منه فالمدبر عنه عين النجاسـة وأسبابه وسائلها ولا تعتقد غيره فإن فعل الله أي نوره أظهر أجزاء العالم وحكم بنجاسـة الإدبار وأسبابه ولذا فالعارف لا يرى روائحها ولو في فضـلاتها لاتصـاله مع ربه ولذا كانت فضـلات الأنبياء أعيانا طيبة تمزج بالعطر الفاسـد فتصيره عديم المثيل فتعطر به العرائس والنجائـب فتقفت ورثتهم ســـنتهم فـاعلم أن مـا خلقه الله ظاهراً باعتبار المفعولية مطهرة بفعل الفاعل وإنما حذرنا السـيد من اتباع الهوى وما نشـأ عن الهوى من فضـلاتنا فسـبحانه من رب عظيم الصنع والعرف ما أجله وما أخفى فعله ولا يشـم رائحة فعله إلا من قواه سـيده بسلب اختيار عقله وفعله فمن تجمد مع عقله وعوائده لم يشـم رائحة فعل سيده فخالط أهل أي فن تريده فلا تصل إليه إلا بهم وإن زعمت أنك ولي أو عالم زمنك فلا بد لك من ناصـــح

يرشـدك فإن ضللت بصـّـــرك وإن أبصرت أعانك وآنسـك فإن فشـلت قواك وإن قويت أمدك وأنجدك فإذا فهمت تلويحاتنا فلعله ترشــد به فإن رشـدت وفطنت وحذقت وأحصـنت جمعت ذل العبودية فإذا صفت نفسك أي صفت بالله لا بك من رذيلة الطمع والحظ وأحسـنت وجهتك كل الإحسـان من غير إرادة شـيءٍ مع سيدك بقطع الأماني معه اعتماداً على سيادته قبل وجودك ووجود أبيك آدم عليه السلام معتمداً على فضل السيد وقسمته وسويت بين عينيك كل عبيده بالتفضـيـل والتعظيم وقطعت النظر عن الطاعة والمعصـية وعن المجانسـة بالآدمية والحيوانية واسـتوت عندك دلائل سـيدك التي هي مفعولاته لأنه ما من مخلوق إلا ويدلك على سـيدك صـانعه وما لون لك خلائقه إلا لتسـلك إليه على عدد طرق مخلوقاته فما من مخلوق إلا وهو طريق متصـلة بسـيدك فالعارف يسلك قناطر مخلوقات سـيده ويرى سيده في كل شـيء ومهما كثرت عنده فتوحات أكوانه اتسـعت دلائله وأشـرقت مرآته فيعبد الله عند تراكم الأكوان في قلبه ويتجلى له ما لا يتجلى له مجرداً من الأكوان فيحصـل له عند رؤية أي مفعول ما لا يحصل للمريد في جميع سلوكه وتنبسط له المعرفة في كل برج من أبراج رمز سـيده لأن كل مخلوق رمز لحضـرة سـيده فلا يجوز لك أن تفضل ذرة على غيرها بعقلك لأن المفاعيل متحدة في

سراية الفعل لها خاضعة لسلطان الفاعلية فالنمل والجماد والآدمي فيه سواء إلا ما فضله السيد فيجب عليك تفضيله بسيدك لا بعقلك فحكم عقلك إنما يدرك استواء المفاعيل وأن الفاعل يفعل في ملكه ما يشاء فإذا شاء فاعل وهو سيدنا إظهار فضله أمرنا بتفضيله وتعظيمه فيجب اعتقاد فضله ولا نفضله على غيره إلا ما نص عليه السيد فيمتثل مع اعتقاد سر الله في المفعول فإذا ظهرت كمالات الله في مثل الأنبياء ومن دونهم من الأولياء والملائكة بنص منهم نفضله بالله ونشرفه على نفوسنا لأنه مفضل بالله وكل ما احتوى عليه من الفضائل فمن كمال الله وننظر فيهم خصوصية سر أسماء الله وكل ما جعله سيدنا واسطة في الإيجاد والإمداد قبلنا وساطته وننظر فيه وجه جلال سيدنا ونحبه ولا نلتفت عن حضرته بإذن من سيدنا بل نقف بالله لله ونحبه بالله لله ونطاوع انفعال سبب الوساطة والفعل كله من الله ونقف بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم بالله لا بأنفسنا وقهر الله أوقفنا في حضرته صلى الله عليه وسلم في أزله جل علاه ونكون أضيافاً لله عنده مجردين من الحظوظ معه بحيث لو سألنا صلى الله عليه وسلم عن حوائجنا عنده وعن سبب ملازمة بابه لأجبنا بديهة السيد ألزمنا معك ولو حتم علينا ما أجبنا إلا بأن السيد جعل طاعته أي علق طاعته بطاعتك وجعل رضاه في رضاك وأنت

خليفته الأعظم وإن ســـألنا عن الحظ والســـبب نجاوب بأننا في قبضة السيد فإعطاؤه يغني عن تمنينا وفضله غطى طمعنا وإمداده أقنع كل نفس شاهية وإن سألنا عن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم نجب بامتثال لأمر سيدنا مع ما طبعنا به من محبتك فضلاً منه ونحن صبغة الله في أعتابك ملازمين غير منفكين من حضرتك ما دام الله الذي له البقاء ببقائه جل وعلا ولئن سألنا شيخ التربية لأجبنا بمثله مع بعث الرســول الأعظم ســيد الكل وأصــله إليك وأمرنا بالعكوف لحضـرتك ونتحرك بإشـارتك ونسـكن بإشـارتك فذلك مراد الله فينا ومراد خليفته صلى الله عليه وسلم وإن سألنا عن المطالب نجب مطالبنا في علم ســيدنا وما كلفك به فاقضــه اتباعاً لكناشه جل وعلا ونحن صبغة حضـرتك دائماً والسيد شرفنا بك ونحن عيالك بإشارة الله فإن الشيخ إذا تحقق ذلك منك يعلم أنك ضـــيف الله لا غرض لك فيقوم بواجبات الضـــيافة والإكرام تعظيماً بحق سيدنا فاسكت يطلب لك ما لا تعرفه فكل ما جاءك على يديه فاقبله من الله لا منة فيه ولا دســيســة ولا مكر فكل واشـرب والبس بركة ســيدك هنيئاً بما لا حســاب بعده وإنما يتبع الحســاب نعماً مبنية على الحظوظ في زعم المنعم عليه فأنت عليه في حضـرة القدس في الحضـــرات كلها والهج باللهم اقبلني في حضرتك وحضرة خليفتك وحضـــرة وليك فأنت سيدي في كلها

وفعلك ســـار في أجزاء ملكك وأْمر خليفتك وخليفته بمحبتي على وجهك وأســكنها في قلبي وارســـم حقائقها في قلبي في ســـائر حركاتي وســـكناتي فأنت ربي وربهما. فامتثل أمر الخليفة بأمر خليفته فإنه ما جعلك سيدك في حجرهما إلا أن تؤدب على يديهما بأدبهما فإن الله أدب بنفســـه خليفته بلا واســـطة وأدب خليفة خليفته بوســـاطة الخليفة اقتداءً به و﴿**لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[108] والأسوة الاقتداءُ والاقتداء الاتّباع فآدابه التي أدب بها في حـــضرة سيده والتأدب سبب للأدب والأدب سبب لبقائك في حضـــرة سيدك دائماً وسوء الأدب بعدم الاتّباع سبب للمقت وربانا الله جل علاه بمخلوق مثلنا في المخلوقية وكان مفضلا علينا بالله فهو من جنس الأجرام والأعراض الحادثات تفضـلا منه علينا وتسـهيلا لنا طرق أدب حضـرته فقرّ عيناً إن لبسـت رداء الصـفاء من كدر الحظوظ مع مولاك ومع خليفته ووليه فإنك ضـــيف الله حقاً فلا تمل في حضـــرتي نبيه ووليـه دائماً بـل تحب بالله لله ويلحظ مقامك وتطلب حوائجك بلا بك وتقضـي[109] فعلك وتثبته على وجه الانطباع الإلهي في قلبهما وإن جئت من عند نفســـك لحضـــرة شيخك طالباً منه النجدة والنصر لا غير فإنه ينصـــرك

[108] (21) سورة الأحزاب.

[109] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "تقض".

وجوباً إن طلبت الحضرة الإلهية ﴿**وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ**﴾[110] وإن تعلقت به لأغراض نفسك الشهوانية يقل لك ما جئت إلي إلا لغرض ونحن مجردون من الأغراض لكن نمكنك منهم بعد حين بشروط ومن طلب حاجته يصبر لمرارتها حولا على أخيه حتى تختبر سرائره فإذا قضيت ما جئت له فاخرج عن حضرته ومن قضى غرضه فليبعد ولا حظّ لك بعد استيفاء حظك بالتمتع به ولا في البقاء رحم الله من زار وخفف ﴿**فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**﴾[111] فاعرف مقامك من الآية وإنما نزلت فيمن تبع النبي صلى الله عليه وسلم لطعام أو غيره وأما مثل أبي بكر رضي الله عنه فقد أنفق ما نسبه حظوظاً من الدنيا والروح على نبيه صلى الله عليه وسلم ولا دخول له في النهي وإذا عرفت ما قررناه فنوصيك بأعتاب الشريعة ولا تخرم حرفاً واحداً منها عمرك كله فإنه سبب السعادة وخلافها الخذلان وعليك بالصلاة التي جعلها الله روحاً لعبادته والعبادة سبب ممتثل وجوباً وأكثر من القربات التي ورد بها النص من الشرع امتثالاً ومحبة وشوقاً وقهراً واشكروا الوسائط من الرجال واجعل نفسك

---

[110] (72) سورة الأنفال.

[111] (53) سورة الأحزاب.

ترابا لهم فهم ساداتك ولو بلغت عند سيدك ما بلغت فإنك ما وصلت إلا بهم واجعلهم من نعم الله عليك واشكر ربك برؤية نعمه منه وتعظيمها لك واتبع إشارات الأيمة الناصحين للأمة ولا تستبد برأيك ولو بلغت منتهى ما تعرفه فإنهم أشياخك وآباؤك ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾[112] واتهم نفسك وزكّ غيرك من الأيمة واقف سننهم ولا تتبع الهوى الذي هو عين الحظوظ فإذا تجردت وتحققت بأنك بحضرة ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[113] وأفنيت مراسمك فيها بالله لا بك فاستبق الخيرات وارحم من تبعك ومن لقيته بالدعاء والنصيحة بالسياسة الحسنة القرآنية والهج بذكر ربك وأكثر من الصلاة على حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أمته خصوصاً آل بيته وخصوصاً شيخنا منهم والهج بالترضية على الأيمة المجتهدين الهادين وإياك ومفارقة الشريعة وإن ظهر لك كل حقيقة فإنما هي كنوزها وافعل من أنواع المجاهدات أكثر ما يفعله المريدون لأغراضهم محبة في سيدك امتثالا له ولا تر سبباً فاتحاً وراقب مولاك وشاهده وعاينه معاينة شيخك بمشاهدة سر فعله في جزئيات ملكه واتبع سنة الأيمة في التوحيد وإن تحققت فلا

---

[112] (23) سورة الإسراء.

[113] (16) سورة ق.

تفارق رأيهم فهو الكنز المســـتمر الـذي لا فنـاء له والربح الأبدي فنشـهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونشهد على أنفسـنا بالضـــعف والجهل ونبرأ من كل كلمة تلبس خلاف الســـنة فمن وجـدهـا في كتـابنـا فليحررهـا بالتقرير ونحن بريء منهـا. وكتبـه الأحســن بن محمد بن أبي جماعة البعقيلي الســوسـي ليلة الإثنين عشرين صفر الخير عام 1340 سدد الله مذهبه ونفع به آمين.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

... وعليه فالشريعة أم الحقيقة والطرائق فمن دخل فيها وقام بجد يصل إلى ما بعدها من الطريقة والحقيقة وإذا كان خارجاً عن الشريعة وطلب الطريقة والحقيقة بلا شريعة فهو زندقة بنت النفاق أرذال الكفر وعليك برسم الشريعة فمن ترك منها حرفاً عوقب عليه بظلمة ما يناسبه من قبله وربما يدخل الشيطان لبعض المريدين بحيث يكرهه مجلس الفقه وهو جاهل ويحسن له الحقائق وكتبها ويستثقل كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب العلماء ويستحلي له اصطلاحات القوم والتشوق لكلامهم بلا ذوق وهو وهم فاحش ...

الحاج الأحسن البعقيلي